

الفصل التاسع والثلاثون

ملكة كندة

كندة قبيلة قحطانية في عرف النسابين ، تنسب الى (ثور بن عفير بن عدي ابن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن زيد بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ) ، و (ثور) هو (كندة)^١ .
وقد عرفت عند الأخباريين بـ (كندة الملوك)^٢ ، لأن الملك كان لهم على بادية الحجاز من بني عدنان^٣ . ولأنهم ملكوا أولادهم على القبائل . وكانوا يتعززون بنسبهم الى كندة ، والى (آكل المرار) ، لأنهم كانوا ملوكاً^٤ .
و (كندة) هي (كدت) القبيلة التي ورد اسمها في نصوص المسند ، مثل نص (أبرهة)^٥ . بل ورد اسمها في النصوص المذكورة قبل هذا العهد بكثير .

١ الاشتقاق (٢١٨/٢) ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب (ص ٣٩٩) ، الاكليل (٥٤/١٠) ، منتخبات (ص ٩٤) ، ابن خلدون (٢٧٦/٢) نهاية الأرب (٢٨٧/٢) ، البيان والتبيين (٣٢٨/٣) (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ، Enc. II, p. 1018.

٢ (كندة حبي من اليمن منهم كانت الملوك) ، منتخبات (ص ٩٤) ، (فأخبرني عن كندة ، قال : (ساسوا العباد ، وتمكنوا من البلاد) ، مروج (٣٢٥/٢) ، (ذكر خلافة عمر) .

٣ ابن خلدون (٢٥٧/٢) .

٤ الطبري (١٣٩/٣) (دار المعارف بمصر) .

٥ Glaser, Zei Inschriften über den Dammbruch von Marib, S. 55, Gunnar

Ollinder, The Kings of Kinda, 1927, P. 33.

وسيكون رمزه : Ollinder

اذ ورد في النص : (Jamme 635) ، المسدون في أيام الملك (شعر أوتر) ملك سبأ وذي ريدان . وقد كانت قد انضمت الى حلف معاد للملك المذكور على نحو ما تحدثت عنه . وكان يحكم (كدت) كندة في ذلك الوقت ملك اسمه (ربعت) ، أي (ربيعة) ، وذكر انه من (ذ ثورم) (ذ الثورم) ، أي من (الثور) (آل ثور) ، وانه كان ملكاً على (كدت) كندة وعلى (قحطن) أي (قحطان)^١ .

فنحن على هذا النص أمام مملكة كندية كانت قد تكونت في أيام (شعر أوتر) أي في النصف الثاني من القرن الأول قبل الميلاد ، وذلك فيما لو جارينا رأي (جامة) وشرنا مسراه في تقدير أيام (شعر أوتر)^٢ . وقبل هذا الوقت فيما لو ذهبنا مذهب غيره ممن يرجعون مبدأ تأريخ سبأ الى أقدم من تقديره ومن تقدير (ريكمنس) . ونحن أيضاً بموجبه أمام ملك من ملوك كندة اسمه (ربعت ذا الثورم) أي (ربيعة) من (الثور) ، أي من (آل ثور) ، فهو إذن من صميم كندة . وقد رأينا أن أهل الأخبار ينسبون كندة الى (ثور بن عفير) ، ويظهر انهم أخذوا (ثور) القديم ، وهو اسم عائلة او بيت او عشيرة من كندة ، فصبروه الجد الأكبر لكندة . وأعطوه النسب الطويل المذكور .

وبلاحظ أن الملك (ربيعة) كان يحكم إذ ذاك (كندة) ، كما كان يحكم (قحطان) . و (قحطان) في هذا الوقت قبيلة ، كانت متحالفة مع (كندة) . ومن هذا الاسم أخذ الأخباريون قحطانهم ، فصبروه جد العرب القحطانيين . وقد ورد اسم قحطان في نص آخر وسم بـ (REP. EPIG., 4304) . هذا نصه : (عبد شمس سبأ بن يشجب ، يعرب بن قحطان)^٣ . وهو نص سبق أن تحدثت عنه ، وقلت إنه في نظري مصنوع موضوع ، وأعتقد ان صانعه وضعه لغاية واضحة هي اثبات أن ما يذكره أهل الأخبار عن نسب سبأ ، هو صحيح ، وانه وارد مذكور في المسند . وبين (صنعاء) و (زبيد) مدينة تعرف بـ (قحطان)^٤ .

١ السطر ٢٧ من النص : (Jamme 635).

٢ Mahram, P. 391.

٣ REP. EPIG. 4304, Orientalia, V, 1936, P. 63.

٤ Mahram, P. 138.

وكانت كندة (كدت) مستقلة وعلى رأسها ملك، في أيام (الشرح يحضب) كذلك . وكان ملكها إذ ذاك من المناهضين المعادين للملك (الشرح يحضب) ، فاشترك كما رأينا في أثناء بحثنا عن (الشرح) في الحلف الكبير الذي تألف ضد مملكة (سبأ وذى ريدان) ، والذي امتد من الجنوب نحو الشمال ، وشمل البر والبحر . وقد أصيبت (كندة) بهزيمة في القتال الذي نشب بينها وبين جيش (سبأ) ، ووقع ملكها واسمه إذ ذاك (ملكم) مع عدد من رؤسائها وكبرائها (مراس واكبرت) ، في الأسر . وسيقوا الى (مأرب) ، وأبقوا في الأسر حتى وافقوا على وضع أولادهم رهائن عند ملك (سبأ وذى ريدان) وعلى اعطاء عهد بعدم التحرش مرة أخرى بمملكة (سبأ وذى ريدان) وبمساعدة أعدائها . وقد وافق (مالك) على اعطاء عهد بما طلب منه ووضع ابنه رهينة ، كما وضع رؤساء وكبراء كندة أولادهم رهائن لديه ، فأفرج بذلك عنهم^١ .

وقد فقدت كندة بعد هذا العهد استقلالها في وقت لا نستطيع تحديده الآن ، لعدم ورود شيء عنه في النصوص، وصارت خاضعة لحكم دولة (سبأ وذى ريدان وحضرموت ويمنت) ، اذ ورد في النصين (Jamme 660) و (Jamme 665) انها كانت تابعة اذ ذاك لحكم هذه الدولة . ينجر النص : (Jamme 660) ، ان كندة كانت تحت حكم حاكم من حكام (شمر يهرعش) ، سقط اسمه الثاني من النص وبقي اسمه الأول وهو : (وهب اوم) (وهب اوم) (وهب اوم) ، وان ذلك الحاكم كان يدير بالاضافة الى كندة قبائل حضرموت ومنحج و (بهلم) (باهلة) و (حدان) و (رضوم) و (أظلم) ، ومعنى ذلك انه كان يدير منطقة واسعة تسكنها قبائل متعددة ، في جملتها كندة التي صارت تحت حكم ملوك سبأ^٢ .

وينجرنا النص : (Jamme 665) ، ان رجلاً من (جدنم) (جدن) كان كبيراً (كبر) على (اعراب ملك سبأ) (اعراب ملك سبأ) وعلى (كندة) (كدت) و (منحج) وعلى (حررم) (حررم) (حرر) (حرار) (حرير) وعلى (بهلم) (باهلم) (باهل) (باهلة) وعلى (زيد ايل) ، وعلى كل

١ Jamme 576, MaMb 212, Mahram, PP. 67, Geukens 3.
٢ السطر الثاني من النص : Jamme 660, MaMb 156, Mahram, P. 164.

أعراب سبأ (وكل اعراب سبأ) وعلى حير وحضرموت ويمنت^١ . وقد عيّنهُ بدرجة (كبر) أي (كبير) ، وهي من أعلى الوظائف في الدولة الملك (ياسر يهنم) وابنه (ذراً أمر أيمن) . ومعنى هذا ان كندة كانت تابعة أيضاً في هذا العهد لحكم سبئيين ، وان ذلك الكبير كان يدير منطقة واسعة وضعها الملكان تحت تصرفه .

ويرى (جامه) ان أرض كندة يجب أن تكون في جنوب (قشم) (قشم) (قشام) (القشم) ، وذلك لأن النص : (Jamme 660) يضعها بين (حضرموت) و (ملحج) ، فيرى لذلك ان منازلها في ذلك الوقت كانت عند هذه المواضع^٢ . والمعروف اليوم ان أول من ذكر اسم (كندة) من المؤلفين الكلاسيكيين على وجه لا يقبل الشك أو الجدل ، هو (نونوسوس) ، وقد دعاها باسم (Kindynoi) أي (كندة) ، وذكر انها و قبيلة (ماديئوى) (Maddynoi) (معد) ، هما من أشهر القبائل العربية عدداً ومكانة ، يحكمها رجل واحد اسمه (Kaisos) اي (قيس)^٣ .

وعلى أخبار الأخباريين معولنا في تدوين تأريخ كندة . وفي مقدمة هؤلاء ابن الكلبي الأخباري المعروف ، وله مؤلف خصصه بتأريخ كندة ، سماه : (كتاب ملوك كندة) ومؤلفات أخرى لها علاقة بهذه القبيلة^٤ ، وابو عبيدة والأصمعي ، وعمر بن شبة ، وأمثالهم ممن سترد اسمائهم في ثنايا صحائف هذا الفصل . وهي اخبار تمثل جملة نزعات واتجاهات تصور تحزب اولئك الأخباريين وميولهم الى هذه القبيلة او تلك ، فبينها أخبار تميل الى تأييد اهل اليمن ، وبينها اخبار ترجح كفة (كندة) ، وبينها اخبار ترجع الفضل الى كلب ، وبينها اخبار تؤيد بني اسد ، وطبيعتها على العموم من طبيعة ما يرويه لنا الأخباريون من روايات عن تأريخ العرب قبل الاسلام ، فيها العصبية القبلية والتحزب ، فيجب ان ننظر اليها اذن بحذر شديد .

١ السطر الاول فما بعده حتى السطر الرابع من النص .

٢ Mahram, P. 318, 372.

٣ Olinder, PP. 114.

٤ راجع ايضا مقدمة (أوليندر) (Olinder) عن الموارد التي يستعان بها في تدوين تأريخ كندة من الصفحة التاسعة فما بعد ، الفهرست (٩٨) ، (طبعة خياط) .

وقد ذكر حمزة انه نقل اخبار ملوك كندة من (كتاب أخبار كندة)^١، وأظنه قصد كتاب ابن الكلبي ، الذي أشرت اليه . وفي استطاعة الباحث العثور على الموارد التي تفيدنا في تدوين تأريخ كندة ومعرفة اتجاهاتها وتعيين أسمائها . و (الفضليات) و (الأغاني) و (النقااض) وأمثالها وبقية كتب الأدب ، هي خير أمثلة لتطبيق ما أقول .

ويذكر الأخباريون أن مواطن (كندة) الأصلية كانت بجبال اليمن مما يلي حضرموت^٢ . وقد أطلق (الهمداني) عليها (بلد كندة من أرض حضرموت)^٣ . وذكر ياقوت أن كندة مخلاف باليمن ، هو باسم قبيلة كندة^٤ ، وروى رواية لابن الكلبي تفيد أن هذه القبيلة كانت تقيم في دهرها الأول في (غر ذي كندة) أي في مواطن العدنانيين ، ومن هنا احتج القائلون في كندة ما قالوا من نسبهم في عدنان، وهو يدل على وجود فريق كان يرى أن قبيلة كندة من قبائل عدنان^٥ ويدل هذا الاختلاف على اختلاط كندة بالقحطانيين والعدنانيين ، ومن أمثال هذا الاختلاط تتولد الأنساب .

ولم يتحدث الأخباريون عن مواطن كندة قبل استقرارهم في (غر ذي كندة) وكيف وصلوا الى هذا الموضع ، ولا عن كيفية انتقالهم الى حضرموت قبل الإسلام . وقد تحدث اليعقوبي عن حرب وقعت بين كندة وحضرموت . طال أمدها ، وهلك فيها جمع من الرؤساء ، منهم : (سعيد بن عمرو بن النعمان بن وهب) ، و (عمر بن زيد) وكان على (بني الحارث بن معاوية) و (شرحبيل ابن الحارث) وكان على السكون ، وهؤلاء من كندة ، و (مسعر بن مستعر) و (سلامة بن حجر) و (شرحبيل بن مرة) ، وهؤلاء من حضرموت . فلما ملكت حضرموت (علقمة بن ثعلب) وهو يومئذ غلام ، لانت كندة بعض اللين ، وكرهت محاربة حضرموت ، وكان القتل قد كثر فيها ، فصارت كندة الى أرض معد ، ثم ملكوا رجلاً منهم كان أول ملوكهم يقال له (مرتع بن

١ حمزة (ص ٩٢) ، (كندة) (السكون) (السكاسك) ، الفهرست (٩٨/١) ، طبعة فلوكل) .

٢ الصفة (ص ٨٥ وما بعدها) ، ابن خلدون (٢٥٧/٢) .

٣ الصفة (ص ٨٥ وما بعدها) .

٤ البلدان (٢٨٤/٧) .

٥ البلدان (٣٠٤/٦) ، الأغاني (١٦٠/١١) ، الفضليات (ص ٤٢٧) .

معاوية بن ثور (فلك عشرين سنة ، ثم ملك ابنه ثور ، ثم ابنه معاوية بن ثور ، ثم الحارث بن معاوية ، وكان ملكه أربعين سنة ، ثم ملك وهب بن الحارث عشرين سنة ، وملك بعده حجر بن عمرو المعروف بـ (آكل المزار) الشهير الذي حالف بين كندة وربيعة بالذئاب وتولى الملك^١ فهؤلاء إذن هم أسلاف (حجر بن عمرو) ، حكموا كندة ومعداً على رأي اليعقوبي قبل حجر بسنين .

وفي رواية لابن الكلبي ان « أول من أنسا الشهور من مضر مالك بن كنانة ، وذلك ان مالك بن كنانة نكح الى معاوية بن ثور الكندي ، وهو يومئذ في كندة ، وكانت النساء قبل ذلك في كندة ، لأنهم كانوا قبل ذلك ملوك العرب من ربيعة ومضر ، وكانت كندة من أرداف المقاول^٢ » . وتدل هذه الرواية على ان هذه القبيلة كانت على اتصال وثيق بالقبائل المنتسبة الى معد ، وربما كان اتصالها هذا أوثق وأقوى من اتصالها بقبائل قحطان ، مع ان النساين يعدونها من قبائل قحطان . وأقدم رجل في كندة تحدث عنه الأخباريون بشيء من التفصيل والوضوح ، هو (حجر) الملقب بـ (آكل المزار)^٣ ، وهو ينسب الى (عمرو بن معاوية ابن ثور بن مرتع بن معاوية) على رواية^٤ ، والى (عمرو بن معاوية بن الحارث الأصغر بن معاوية بن الحارث الأكبر بن معاوية بن كندة) على رواية أخرى^٥ .

- ١ (الذئاب) ، الصفة (ص ١٢٣ ، ١٤٦ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٨٢ ، ٢٠٩) ، البلدان (١٩٧/٤ وما بعدها) ، اليعقوبي (١٧٦/١ وما بعدها) ، (طبعة النجف) .
- ٢ الأزرقى : أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار (١١٨/١) (المطبعة المأجدية بمكة سنة ١٣٥٢) .
- ٣ المزار : عشب مر اذا أكلته الابل قلصت عنها مشافرها فبدت أسنانها ، قيل سمي حجر آكل المزار لكثرة كان به ، وقيل لان ابنة له سبها ملك من ملوك سليح يقال له (زياد بن هبولة) من الضجاعة ، فقالت له ابنة حجر : (كأنك بأبي قد جاء كأنه جمل أكل المزار ، تعني كاشرا عن أنيابه ، وقيل : انه كان في نفر من أصحابه في سفر ، فأصابهم الجوع ، فأما هو فأكل المزار حتى شبع ، فعرف بآكل المزار . وهناك روايات أخرى في هذا المعنى . راجع : اليعقوبي (١٧٧/١) ، أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر (٧٤/١) ، شرح ديوان امرئ القيس ومعه أخبار المراقسة وأشعارهم في الجاهلية وصدر الاسلام (ص ٦) ، لحسن السندوبي ، اللسان (١٧١/٤) .
- ٤ حمزة (ص ٩٢) .
- ٥ ابن خلدون (٢٧٣/٢) .

ورويت روايات أخرى تختلف عن هذه السلسلة بعض الاختلاف^١. وذكر انه كان أخاً لـ (حسان بن تبع) لأمه . فلما دوّخ (حسان) بلاد العرب ، وسار في الحجاز ، وهمّ بالانصراف ، ولّى أخاه (حجرأ) على (معد بن عدنان) كلها ، فدانوا له ، وسار فيهم أحسن سيرة^٢ .

وفي رواية أخرى من روايات الأخباريين ان التبابعة كانوا يصاهرون (بني معاوية ابن عترة) من كندة ، وكانوا يملكون في (دمنون) ، ويولونهم على (بني معد ابن عدنان) بالحجاز ، فكان أول من ولي منهم (حجرأكل المزار) ، ولأه (تبع بن كرب) الذي كسا الكعبة ، وولى بعده ابنه (عمرو بن حجر)^٣ . فيفهم من هذه الرواية ان (بني معد) كانوا أتباعاً للتبابعة يعيّنون عليهم من يشاءون من الناس .

وفي رواية ترجع الى ابن الكلبي ، مفادها ان تبعاً المعروف بـ (أبي كرب) حين أقبل سائراً الى العراق نزل بأرض معد ، فاستعمل عليها (حجرأكل المزار) ، ومضى لوجهه . فلما هلك ، بقي حجرأ لحسن سيرته مطاعاً في مملكته . وملك الشام يومئذ (زياد بن الهولة السليحي) والملك الأعظم في بني جفنة ، وزياد كالمغلب على بعض الأطراف ، فقتله حجرأ . وقد بقي حجرأ حتى خرف ، وله من الولد : عمرو ومعاوية^٤ .

فيظهر من الرواية المتقدمة ان حجرأ كان معاصراً لـ (زياد بن الهولة السليحي) وهو ملك عرب الشام يومئذ ، ويذكر حمزة ان (حجرأ) قتله^٥ .

وفي رواية أخرى ان حجرأ هو أول ملوك كندة . وكانت كندة قبل أن يملك حجرأ عليها بغير ملك ، فأكل القوي الضعيف ، فلما ملك حجرأ سدّد أموالها وساسها احسن سياسة ، وانتزع من اللخمين ما كان بأيديهم من أرض (بكر ابن وائل) . وبقي حجرأ كذلك حتى مات^٦ . فـ (حجرأ) على هذه الرواية

-
- ١ الاغانى (٨٢/١٥) .
 - ٢ ابن خلدون (٢٧٣/٢) ، ابن قتيبة : المعارف (ص ٣٠٨) ،
 - ٣ ابن خلدون (٢٧٦/٢) .
 - ٤ حمزة (ص ٩٢) ، ابن خلدون (٢٧٣/٢) ، الاغانى (٨٢/١٥) المحبر (ص ٣٦٨ وما بعدها) .
 - ٥ حمزة (ص ٩٢) .
 - ٦ أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر (٧٤/١) (المطبعة الحسينية) .

أول ملك من ملوك كندة ، واول زعيم من زعمائها تمكن من توحيد صفوفها ومن تغليبها على قبائل أخرى ، ومن توسيع رقعة أراضيها حتى بلغت حدود مملكة لخم .

وذكر عدد من الأخباريين أن والد (حسان تبع) هو (أسعد أبو كرب) ، المعروف بـ (تبع الأوسط) ، وهو ابن (كلي كرب بن تبع)^١ . وقد ذهب (هارتمن) (Hartmann) الى أن (حسان تبع) هذا هو (شرحبيل يعفر) المذكور في نص (Glaser 554) الذي يعود تأريخه الى سنة (٤٥٠) للميلاد ، وهو ابن (أب كرب أسعد) الذي حكم على تقدير (هومل) من سنة (٣٨٥) حتى سنة (٤٢٠) للميلاد^٢ ، غير أننا يجب أن نأخذ أمثال هذه الأمور بحذر^٣ ، خاصة فيما يتعلق بفتوحات التبابعة واتساع ملكهم وغير ذلك مما يقصه علينا الأخباريون .

ونزل حجر على رواية بنجد بـ (بطن عاقل) ، وكان اللخميون قد ملكوا كثيراً من تلك البلاد ، ولا سيما بلاد (بكر بن وائل) ، فنهض بهم وحارب اللخمين ، واستخلص أرض بكر منهم^٤ . ويقع (بطن عاقل) في جنوب (وادي الرمة) على الطريق بين مكة والبصرة^٥ .

ويحدثنا بعض الرواة أن حجراً بينا كان يغزو عماناً ، بلغ ذلك (الحارث بن الأهميم) (الأهميم) بن الحارث الغساني) ، فأغار على أرض حجر ، وأخذ أموالاً لحجر ، وقينة من أحب قيانه اليه ، وانصرف ، فقال للقينة : « ما ظنك بحجر؟ » فقالت : « لا أعرفه ينالم إلاّ وعضو منه يقظان ، وليأتينك فاغراً فاه كأنه بعير أكل مراراً ، فان رأيت ان تنجو بنفسك فافعل » ، فلطمها الغساني فما لبثوا أن لحقهم حجر كما وصفت ، فرد القينة والأموال ، وكان حجر قد رجع من غزاة عمان وهو يقول بعد أن بلغه غارة الغساني : « لا غزو إلا بالتعقيب »^٦ وذكر (الهمداني) في معرض تفسيره لـ (آكل المرار) مضمون هذه الرواية دون

١ المعارف (ص ٣٠٧) ، حمزة (ص ٨٥ وما بعدها) .

٢ Handbuch, S. 104, Hartmann, Die Arabische Frage, S. 481.

٣ Olinder, P. 40.

٤ ابن الأثير (٢٠٩/١) ، شرح القصائد العشر ، للزوزني (ص ٦) .

٥ البلدان (٩٨/٦) ، Olinder, P. 42.

٥ منتخبات (ص ٩٧) .

أن يشير الى اسم الغساني ، او اسم الموضع الذي كان حجر يغزو فيه^١. وذكرت بعض الروايات الحارث بن جبلة بدلاً من الحارث بن الأهم (الأهم) بن الحارث الغساني^٢.

وذكر الميداني القصة نفسها عن (الحارث بن مندلة الضجعمي) من (بني سليح) . أما (ابن هشام) ، فجعله (عمرو بن الهبولة الغساني)^٣.

وفي رواية أخرى ان الغازي هو (زياد بن الهبولة) ملك الشام ، وكان من (سليح بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة) ، غزا ملك حجر في أثناء اغارة حجر في كندة وربيعة على البحرين ، فأخذ الحريم والأموال ، وسب (هنداً بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية) زوجة حجر . فلما سمع حجر وكندة وربيعة ، عادوا من غزوهم في طلب (ابن الهبولة) ومع حجر أشراف ربيعة (عوف بن محلم بن ذهل بن شيبان) ، و (عمرو بن ابي ربيعة بن ذهل بن شيبان) ، وغيرهما ، فأدركوا (زياداً) (عمراً ؟) ب (البردان) دون عين أباغ ، وقد أمن الطلب ، فنزل حجر في سفح جبل، ونزلت بكر وتغلب وكندة مع حجر دون الجبل بالصحصحان على ماء يقال له (حفير) ، ووقعت معركة تغلب فيها حجر على خصمه ، وأخذ زياد أسيراً ، ثم قتل، واسترجعت منه هند في قصة معروفة مشهورة فيها شعر على الطريقة المألوفة عند الأخباريين^٤. وتقول الرواية انه بعد ان انتقم وانتصر ، عاد الى الحيرة^٥. وقد عرفت هذه المعركة ب (يوم البردان)^٦.

ويلاحظ ان ابن الأثير اورد في روايته عمراً بدلاً من زياد أي زياد بن الهبولة ملك الشام كما هو مقتضى الكلام، وأورد في نهاية القصة هذه الجملة « ثم عاد الى الحيرة » وهي تشعر ان موضع حجر كان في الحيرة ، ولم يذكر أحد انه كان فيها .

- ١ الصفة (ص ٨٦) .
- ٢ الأغاني (٦٣/١٣) ، Olinder, P. 44.
- ٣ Olinder, P. 45.
- ٤ ابن الأثير (٢٠٧/١) ، الأغاني (٨٢/١٥) وما بعدها ، البيان والتبيين (٣٢٨/٣) (لجنة) ، Olinder, P. 43.
- ٥ ابن الأثير (٢٠٨/١) ، (البردان) ، تاج العروس (٣٠٠/٢) ، القاموس (٢٧٧/١) .
- ٦ ابن الأثير (٢٠٧/١) وما بعدها .

ويظهر أن المورد الذي نقل منه ابن الأثير أو أصحاب القصة ، لم يحسن حبكها ،
أو أنه خلط بين قصتين ، فظهرت في هذا الشكل .

وقد انتبه ابن الأثير إلى هذا الاضطراب ، فقال : « هكذا قال بعض العلماء :
أن زياد بن هبولة السليحي ملك الشام غزا حجرآ . وهذا غير صحيح ، لأن
ملوك سليج كانوا بأطراف الشام مما يلي البر من فلسطين إلى (قنسرين) ، والبلاد
للروم ، ومنهم أخذت غسان هذه البلاد ، وكلهم كانوا عمالاً للوك الروم ، كما
كان ملوك الحيرة عمالاً للوك الفرس على البر والعرب ، ولم يكن سليج ولا
غسان مستقلين بملك الشام ، وقولهم ملك الشام غير صحيح .

وزياد بن هبولة السليحي ملك مشارف الشام ، أقدم من حجر آكل المزار
بزمان طويل ، لأن حجرآ هو جد الحارث بن عمرو بن حجر الذي ملك الحيرة
والعرب بالعراق أيام قباذ أبي أنو شروان ، وبين ملك قباذ والهجرة نحو ثلاثين
ومئة سنة . وقد ملكت غسان أطراف الشام بعد سليج ستمائة سنة ، وقيل خمسمائة
سنة ، وأقل ما سمعت فيه ست عشرة سنة وثلاثمئة سنة ، وكانوا بعد سليج ،
ولم يكن زياد آخر ملوك سليج ، فتزيد المدة زيادة أخرى ، وهذا تفاوت كثير ،
فكيف يستقيم أن يكون ابن هبولة الملك أيام حجر حتى يغير عليه ، وحيث طبقت
رواة العرب على هذه الغزاة ، فلا بد من توجيهها ، وأصلح ما قيل فيه : إن
زياد بن هبولة المعاصر لحجر كان رئيساً على قوم ، أو متغلباً على بعض أطراف
الشام . وبهذا يستقيم هذا القول والله أعلم .

وقولهم أيضاً أن حجرآ عاد إلى الحيرة لا يستقيم أيضاً ، لأن ملوك الحيرة من
ولد عدي بن نصر اللخمي ، لم ينقطع ملكهم لها إلا أيام قباذ ، فإنه استعمل
الحارث بن عمرو بن حجر آكل المزار ، كما ذكرنا من قبل ، فلما ولي أنو شروان ،
عزل الحارث ، وأعاد اللخمين . ويشبه أن يكون بعض الكنديين قد ذكر هذا
تعصياً ، والله أعلم .

أن أبا عبيدة ذكر هذا اليوم ، ولم يذكر أن ابن هبولة من سليج ، بل قال :
هو غالب بن هبولة ملك من ملوك غسان ، ولم يذكر عوده إلى الحيرة ، فزال
هذا الوهم ^١ .

١ ابن الأثير (٢٠٨/١ وما بعدها) .

وبهذا التعليق اراد ابن الأثير اصلاح ما جاء في الرواية المذكورة من اوهام .
ولكن تعليقه نفسه فيه اوهام وأخطاء من حيث عدد السنين وتقدير المدد وما شاكل
ذلك من أمور ترد في روايات أهل الأخبار .

ولا نعرف متى توفي حجر ، وقد ذكر ابن الأثير انه توفي بـ (بطن عاقل)
وبه دفن^١ . ويرى (أوليندر) (Olinder) استناداً الى تقدير سنة وفاة الحارث
حفيد . (حجر) بسنة (٥٢٨) للميلاد ، والى تقدير مدة حكم الضجاعة من
(بني سليح) ، انه حكم في الربع الأخير من القرن الخامس للميلاد^٢ .

ويرى بعض الباحثين ان (حجرأ) هو (Ogarus) المذكور في بعض التقاويم
في حوادث السنين ٤٩٧ و ٥٠١ و ٥٠٢ للميلاد. وقد ذكر معه اسم أخ له عرف
بـ (Badicharimus) أي (معديكرب) ، كما ذكر أحد احفاده وهو (Aretha)
اي الحارث^٣ .

ونسب الأخباريون لـ (حجر) ثلاث زوجات ، هن : (هند) ابنة (ظالم
ابن وهب بن الحارث بن معاوية) ، وتعرف بـ (هند الهنود) ، و (أم
أناس بنت عوف بن محم الشيباني) وهي ام (الحارث بن حجر)^٤ ، واما الثالثة
فن حمير^٥ .

وفي ديوان الشاعر الجاهلي (بشر بن ابي خازم الأسدي) قصيدة يمدح فيها
(عمرو بن ام اناس) ، أو (ام أبياس)^٦ ، وهو من (كندة) . وام اناس
هي ابنة (عوف بن محم الشيباني) الذي يضرب به المثل ، فيقال : « لا حر
بوادي عوف » . وهو من بيت شرف قديم ، لهم قبة يقال لها (المعادة) من
لجأ اليها أعاذوه^٧ . ومما جاء في مدح هذا الشاعر له :

-
- ١ ابن الأثير (٢٠٩/١) .
 - ٢ Olinder, P. 46.
 - ٣ Provincia Arabia, III, S. 286.
 - ٤ الاغانى (١٥٩/٩) (٨٢/١٥) ، جمهرة ابن حزم (٣٢٣) ، الزوزني ، شرح
القصائد العشر (٧) .
 - ٥ Olinder, P. 42.
 - ٦ بالياء في ديوان بشر حسب تحقيق الناشر .
 - ٧ الاشتقاق (٢١٥) .

والمناخ المثة الهجان بأسرها تُزجي مطافها كجثة يثرب
ولرب زحف قد سموت بجمعه فلبسته رهواً بأرعن مُطنب
بالقوم مجتابي الحديد كأنهم أسد على لحق الأباطيل شرب^١

ويستفاد من هذه القصيدة ان الممدوح ، وهو عمرو ، كان كريماً سخياً يهب
المئات من الإبل الهجان الطيبة الأعراق ، وانه كان صاحب جيش قوي . وينطبق
هذا الوصف على (عمرو بن حجر) . أكثر من انطباقه على (عمرو بن الحارث)
جدّ (امرئ القيس) ، وذلك على رواية من زعم أنه كان للحارث جدّ
الشاعر المذكور ولد اسمه (عمرو) من زوجة له دعوها (أم أناس) ابنة (عوف
ابن محم الشيباني) . إذ لم يكن وضع أولاد الحارث وضعاً حسناً بعد النكبة التي
نزلت بمصيبة والدهم وبتعقب المنذر بن ماء السماء لهم ، وبثورة القبائل عليهم .
فليس من المعقول أن يهب (عمرو) تلك الهبات وأن يجمع لسه جيش لجب .
خاصة وأن الرواة لم يذكروا اسمه في جملة أسماء أبناء الحارث الذين ملكهم على
القبائل في حياته او الذين ورثوا ملكه بعد مماته .

وقد نص (ابن قتيبة) في كتابه : (المعاني الكبير) على أن (عمرو بن
أم أناس) ، هو (عمرو بن حجر الكندي) ، الذي كان جدّ (عمرو بن
هند) ، وهند أم (عمرو بن هند) هي ابنته . وذكر أن (أم عمرو بن حجر)
هي (أم أناس بنت ذهل بن شيان بسن ثعلبة) ، وانه هو المذكور في شعر
الحارث بن حلزة ، اذ يقول :

وولدنا عمرو بن أم أناس من قريب لما أتانا الحباء^٢

وقد اختلف أهل الأخبار كما رأينا في السبب الذي حمل الناس على تلقيب
(حجر) بـ (آكل المرار) . فذهبوا في ذلك جملة مذاهب ذكروها في أثناء
حديثهم عنه^٣ .

- ١ ديوان بشر (٣٩) ، الأغاني (٨٢/١٥) وما بعدها .
- ٢ كتاب المعاني الكبير (٥٣١/١) وما بعدها .
- ٣ الأغاني (٦٠/٨) (طبعة مطبعة التقدم) ، التبريزي ، القصائد العشر ، (ص ٤) ،
الجاحظ ، البيان والتبيين (٣٢٨/٣) (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) .
الكامل ، لابن الأثير (٣٠١/١) ، (الطباعة المنيرية) ، دائرة المعارف ، للبستاني
(١٢٢/١) ، الأغاني (٨٣/١٥) .

وصار (عمرو بن حجر) المعروف بـ (المقصور) ملكاً بعد أبيه. ويقولون إنه إنما قيل له (المقصور) لأنه قصر على ملك أبيه ، أو لأن (ربيعة) قصرته عن ملك أبيه ، وبذلك سمي المقصور^١.

وكان لـ (عمرو) كما يقول الأخباريون اخ اسمه (معاوية) ، ويعرف بـ (الجون)^٢ (الجوف)^٣ ، كان نصيبه (البامة) . ويظهر من هذا الخبر انه اخذ من شقيقه هذه المنطقة وترك الأرضين الباقية لأخيه .

ويذكر اهل الأخبار ان (عمرو) و (معاوية) شقيقه هي (شعبة بن أبي معاصر بن حسان بن عمرو بن تبع)^٤ . ويظهر من هذا النسب انها كانت من أسرة يمانية رفيعة ومن البيوتات التي كانت تحكم بعض المقاطعات .

وورد في رواية ان (عمراً) غزا الشام ومعه ربيعة ، فلقية الحارث بن أبي شمر الغساني فقتله . ولم يصف (يعقوبي) صاحب الرواية المذكورة الى هذه الرواية شيئاً عن حياة (عمرو) المقصور^٥ . أما (حمزة) ، فلم يشر اليه بشيء^٦.

وفي رواية ان ربيعة حينما قصرت عمراً عن ملك أبيه ، استنجد عمرو المقصور (مرثد بن عبيد ينكف الحميري) على ربيعة ، فأمدّه بجيش عظيم . فالتقوا بـ (القنان) ، فشد عامر الجون على عمرو المقصور فقتله^٧ . فهذه الرواية تنفي رواية من يقول ان الحارث بن شمر الغساني هو الذي قتله .

واذا صحت الرواية المتقدمة ، تكون (ربيعة) قد ثارت على (ابن حجر) لأنها أرادت التخلص من حكم كندة لها . وقد تمكنت من ذلك على الرغم من المساعدة اليمانية التي قدمت له .

ويظهر من الروايات الواردة عن عمرو ومن تلقيه بلقب : (المقصور) ومن

-
- ١ ابن الأثير (٢٠٩/١) ، المحبر (ص ٣٦٩) ، الفضليات (ص ٤٢٩) ، الاغانى (٦٠/٨) .
 - ٢ ابن الأثير (٢٠٩/١) ، الاغانى (٨٢/١٥) ، المحبر (ص ٣٦٩) .
 - ٣ (الجوف) ، الاغانى (٦١/٨) ، وهو تصنيف ، والصحيح (الجون) ، (٧٩/٩) (طبعة دار الكتب) .
 - ٤ الاغانى (٦٠/٨) .
 - ٥ يعقوبي (١٧٧/١) ، الاغانى (٦٥/٨) .
 - ٦ حمزة (ص ٩٢) .
 - ٧ يوم القنان ، الفضليات (ص ٤٢٩) ، البلدان (١٦٥/٧) .

الشروح التي ذكرها الرواة في تفسير هذه الكلمة ، أن (عمرأ) لم يكن قوياً صاحب عزم وإرادة ، وأنه اكتفى بما وقع له من أبيه ، فلم يسع في توسيعه وتقويمه ، وأن حكمه على ما يظهر لم يكن طويلاً ، وقد جعله ابن الكلبي في جملة من كان يخدم (حسان بن تبع) تبع حمير ، ولم يلقيه بلقب ملك ، بل قال : إنه كان سيد كندة في زمانه . وذكر أن (حسان بن تبع) حين سار إلى جديس ، خلفه على بعض أموره . فلما قتل (عمرو بن تبع) أخاه (حسان بن تبع) ، وملك مكانه اصطنع (عمرو بن حجر) ، وكان ذا رأي ونبل ، وكان مما أراد عمرو إكرامه به وتصغير بني أخيه حسان أن زوجته ابنة (حسان بن تبع) ، فتكلمت في ذلك حمير . وكان عندهم من الأحداث التي ابتلوا بها ، لأنه لم يكن يطمع في التزويج إلى أهل ذلك البيت أحد من العرب . وولدت ابنة (حسان بن تبع) لعمرو بن حجر (الحارث) الذي عيّن (تبع بن حسان بن تبع بن ملكي كرب ابن تبع الأقرن) ، أي خال (الحارث) على بلاد معدا .

ويظهر من رواية مرجعها ابن الكلبي أن الأسود بن المنذر ملك الحيرة ، كان قد تزوج ابنة لـ (عمرو بن حجر) ، فولدت له (التمان بن الأسود) الذي حكم في زمن (قباذ) أربع سنين ، ولذلك عرفت بـ (أم الملك) ^٢ . وانتقل الملك على رأي أكثر الأخباريين من عمرو إلى ابنه الحارث : وهو المعروف بـ (الحارث الحرّاب) على بعض الروايات ^٣ . وقد ورد في شعر للشاعر (ليبد) هذا البيت :

والحارث الحرّاب خلّي عاقلاً داراً أقام بها ولم يتنقل

وقد ذهب الأصمعي إلى أن الشاعر المذكور قصد بـ (الحارث الحرّاب) الحارث الذي نتحدث عنه . وذلك لأن (عاقلاً) من ديار كندة . وهو جبل كان يسكنه (حجر أبو امرئ القيس) ^٤ . وإذا أخذنا بهذه الرواية وجب علينا أن نفترض أنه كان قد أقام بموضع عاقل وحكم منه في أغلب الأوقات .

١ الطبري (٨٦/٢) .

٢ الطبري (٩٠٠/١) ، حمزة (ص ٦٩) .

٣ شرح ديوان ليبد بن ربيعة العامري (ص ٥٥ ، ٢٧٥) .

٤ شرح ديوان ليبد (ص ٢٧٥) .

وقد نعت (حمزة) الحارث بـ (المقصور)^١. وقد رأينا ان جماعة من الأخباريين منحت هذا اللقب لـ (عمرو) .

وقد اختلف الرواة في ام (الحارث) ، فذهب بعض منهم الى انها ابنة (حسان بن تبع)^٢، وذهب بعض منهم الى انها (ام أناس)^٣ او (ام اياس)^٤ بنت (عوف بن محم بن ذهل بن شيان) ، وامها (أمامة بنت كسر بن كعب ابن زهير بن جشم) من تغلب^٥ .

وفي رواية اخرى ، ان (ام أناس) ، كانت زوجة لـ (حجر) وهي ام (الحارث بن حجر) و (هند بنت حجر) . ولذلك فهي ليست أمّاً للحارث ابن عمرو المقصور ، كما جاء في الرواية المتقدمة . ويظهر ان مرد هذا الاختلاف يعود الى تشابه الاسمين ، والى عدم تمييز الرواة بينهما . ويكون (الحارث بن حجر) المذكور اذن شقيقاً لعمرو بن حجر^٦ .

وقد ذكر (ثيوفانس) رئيساً عريباً دعاه (الحارث من بني ثعلبة) (Aretas O. Thalabaynys) ، يظن (أوليندر) انه (الحارث الكندي)^٧ ، ويرجح لذلك الرواية الثانية التي تجعل ام الحارث (ام أناس) (ام اياس) . ذلك لأن (ام أناس) من شيان ، وشيان هو ابن ثعلبة في عرف النسابين ، فيكون هذا الحارث على رأيه هو الحارث الكندي .

ولست أستطيع الجزم بهذا الرأي ، فان (الحارث) من الأسماء المعروفة الكثيرة. الاستعمال عند العرب في بادية الشام وفي بلاد الشام ، وشمال الحجاز ونجد ، وقد عرفنا أسماء عدد من الأمراء وسادات القبائل عرفوا بهذا الاسم ، ثم ان نسبة الحارث الى الثعلبانية (ثعلبة) ، لا يدل على ان الحارث الذي ذكره (ثيوفانس) هو (الحارث الكندي) ، بل يدل على انه كان من قبيلة اسمها (ثعلبة) أو (ثعلبان). وقد ذكر كتبة اليونان والسريان اسم قبيلة (ثعلبة) وكانت من القبائل الخاضعة

-
- ١ حمزة (ص ٩٢) .
 - ٢ الطبري (٩٠٠/١) ، حمزة (ص ٦٩) .
 - ٣ الفضليات (ص ٤٢٩) ، الاغانى (٦٢/٨) .
 - ٤ Olinder, P. 48.
 - ٥ الفضليات (ص ٤٢٩) .
 - ٦ الاغانى (٨٣/١٥) .
 - ٧ Olinder, P. 48.

للروم . قورد (طايوي ربيث رومرين دبيث ثعلبة) ، أي (العرب الذين في أرض الروم الملقبون ببني ثعلبة) ، وورد ذكرها في اخبار مؤرخي الكنيسة في النصف الثاني من القرن الرابع للميلاد^١ .

وفي (طيء) ثلاثة بطون عرفت بـ (بني ثعلبة) ، هي (ثعلبة بن ذهل) ، و (ثعلبة بن رومان) و (ثعلبة بن جدعاء) ، وتعرف بـ (ثعالب طيء) . ويوجد أيضاً (بنو ثعلبة بن شيان) من بطون (تميم)^٢ . وقد عرف (بنو شيان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل) و (بنو شيان ابن ذهل بن ثعلبة بن عكابة) بـ (بني ثعلبة) في تواريخ الروم والسريان . ومن (شيان) كان (حارث بن عباد) سيد شيان في حرب البسوس . وقد عرفوا بـ (Thalabenes) عند الروم^٣ .

وتذكر رواية لابن الكلبي أن (تبع بن حسان بن تبع بن ملكيكرب بن تبع الأقرون) ، اعان (الحارث بن عمرو) وساعده على تولي الملك . و (تبع بن حسان بن تبع) ، هو خاله على هذه الرواية . وتزعم انه بعث الى ابن أخته بجيش عظيم سار معه الى بلاد معد والحيرة وما والاها ، فسار الى (النعمان بن امرئ القيس بن الشقيقة) ، فقاتله ، فقتل النعمان وعدة من اهل بيته ، وهزم اصحابه ، وافلته المنذر بن النعمان الأكبر ، وملك (الحارث بن عمرو الكندي) ما كانوا يملكون^٤ .

ولا نعرف من الأسماء المذكورة في الكتابات العربية الجنوبية اسم ملك يدعى (تبع بن حسان بن تبع بن ملكيكرب بن تبع الأقرون) . ويرى (هارتمن (Hartmann) أن الأخباريين ارادو به (شرحبيل يكف) ، وهو ابن شرحبيل يعف (المذكور اسمه في النص المؤرخ بسنة ٤٦٧)^٥ .

يظهر من رواية (ابن الكلبي) المتقدمة ان الملك لم ينتقل الى الحارث من ابيه ارثاً، وانما جاءه بمساعدة خاله (تبع بن حسان بن تبع) . ولم تذكر الرواية

١ شيخو ، النصرانية (القسم الأول ص ٧٩) ، Rothstein, S. 74.

٢ النصرانية (القسم الأول ، ص ١٢٧) . ابن حزم ، جمهرة (ص ٢٩٧) .

٣ النصرانية (القسم الأول ، ص ١٣١ وما بعدها) ، (القسم الثاني : ٤٢٢/٢) .

٤ الطبري (٨٦/٢) .

٥ Olinder, P. 54, Hartmann, S. 497.

الأسباب التي دعت الى اعتماد الحارث على (تبع) في تولي الملك . ولو صحت هذه الرواية كان معناها انه لم يتمكن من الحصول على حقه في الملك إما لامتناع القبائل من قبوله ملكاً عليها ، مما دعاه الى الاستعانة بـ (تبع) او بغيره ، وإما لأن ملك والده يوم توفي لم يكن واسعاً ، بل كان مقتصرأ على كندة ومن في حلفها ، او لأنه لقي مقاومة من أشقائه واقربائه ، مما دفعه الى الاستعانة بالغرباء في تنصيب نفسه ملكاً على كندة وعلى القبائل الأخرى ، ثم على توسيع ملكه فيما بعد .

ولدينا رواية أخرى ، تذكر ان الذي ساعد (الحارث بن عمرو) على تولي الحكم على بلاده معد ، هو (صهبان بن ذي خرب) ، وذلك ان معداً لما انتشرت تباعثت وتظلمت ، فبعثت الى صهبان تسأله ان يملك عليها رجلاً يأخذ لضعيفها من قوتها مخافة التعدي في الحروب ، فوجه اليها الحارث بن عمرو الكندي ، واختاره لها ، لأن معداً أخواله ، امه امرأة من بني عامر بن صعصعة ، فسار الحارث اليها بأهله وولده . فلما استقر فيها ، ولى ابنه حجر ، وهو أبو امرئ القيس الشاعر على أسد وكنانة ، وولى ابنه شرحبيل على قيس وتميم ، وولى ابنه معدي كرب ، وهو جد الأشعث بن قيس الكندي على ربيعة ، فكنوا كذلك الى أن مات الحارث ، فأقر صهبان كل واحد منهم في ملكه ، فلبثوا بذلك ما لبثوا . ثم ان بني أسد وثبوا على ملكهم حجر بن عمرو ، فقتلوه . فلما بلغ ذلك صهبان ، وجه الى مضر عمرو بن نابل اللخمي ، والى ربيعة ليبيد بن النعمان الغساني ، وبعث برجل من حمير يسمى أوفي بن عنق الحية وأمره ان يقتل بني أسد أبرح القتل . فلما بلغ ذلك أسداً وكنانة ، استعدوا . فلما بلغ أوفي ذلك ، انصرف نحو صهبان ، واجتمعت قيس وتميم فأخرجوا ملكهم عمرو بن نابل عنهم فلاحق بصهبان ، وبقي معدي كرب جد الأشعث ملكاً على ربيعة^١ .

اما صهبان ، فهو رجل لم يكن من اهل بيت الملك في حمير ، بل كان قد وثب على الملك واخذه عنوة ، وذلك حينما تضعضع امر الحميرية بقتل (عمرو بن تبع) اخاه (حسان بن تبع) ، فانتهاز صهبان هذه الفرصة ، ووثب على (عمرو ابن تبع) فقتله واستولى على ملكه وصار الأمر اليه^٢ .

١ الدينوري : الاخبار الطوال (ص ٥٣ وما بعدها) .

٢ الاخبار الطوال (ص ٥٢ وما بعدها) .

وهناك رواية اخرى تذكر ان (صهبان بن محرث) هو الذي عين الحارث على معد . فهي تأييد للرواية المتقدمة ، سوى انها عينت اسم والد صهبان ، بأن نصت عليه ، فجعلته (محرثاً) . اما الرواية المتقدمة فدعته (ذي خرب) . و (ذي خرب) لقب ، يعبر عن منصب وليس باسم علم .

وفي رواية يرجع سندها الى ابي عبيدة ، ان بكر بن وائل لما تسافهت ، وغلبها سفهاؤها ، وتقاطعت ارحامها ، ارتأى رؤساؤهم فقالوا : إن سفهاءنا قد غلبوا على أمرنا فأكل القوي الضعيف . فرى ان نملك علينا ملكاً نعطيهِ الشاة والبعر ، فيأخذ للضعيف من القوي . ويرد على المظلوم من الظالم . ولا يمكن ان يكون من بعض قبائلنا ، فيأباه الآخرون ، فيفسد ذات بيتنا ، ولكننا نأتي تبعاً فنملكه علينا ، فأتوه ، فذكروا له امرهم ، فلك عليهم الحارث بن عمرو آكل المرار الكندي ، فقدم فتزل بطن عاقل^١ .

ويدرك من هذه الروايات انه كان للتبابعة نفوذ على قبائل معد ، وان تلك القبائل كانت تستشيرهم في أمورهم ، وتحتكم اليهم فيما يحدث بينهم من خلاف . وانه كان لهم يد في تعيين الحارث وتنصيبه على تلك القبائل .

والشيء الوحيد الذي يمكن استخلاصه من هذه الروايات المدونة عن تعيين الحارث ملكاً ، انه تولى الحكم على كندة بعد وفاة أبيه ، وانه وسع ملكه بعد ذلك وقد يكون بمساعدة (تبع) ، فصار ملكاً على كندة وبكر وعلى قبائل اخرى وانه تمكن بشخصيته من رفع شأن قبيلته . ويرى (أوليندر) انه حكم حوالي سنة (٤٩٠) للميلاد^٢ .

وليس من السهل تعيين اسم (التب) الذي عين الحارث ملكاً كما جاء ذلك في الروايات اليمنية بالاستناد الى نصوص المسند ، وليس من السهل ايضاً تصور بلوغ نفوذ (ملوك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت واعرابها في الجبال وفي تهامة) المواضع التي ذكرها اخباريو اليمن . وقد رأينا آثار الوهن بادية على تلك المملكة ، بحيث لم تتمكن من مقاومة غزو الحبشة لها . وليس من السهل ايضاً تصور مجيء (بكر) والقبائل الأخرى مختارة طائفة الى الحارث تلتئم منه ان

١ نهاية الارب (٤٠٦/١٥) ، العقد الفريد (٧٨/٦) ، (طبعة العريان) .
٢ Ollender, P. 58.

يتفضل عليها بأن يكون ملكاً عليها ، وقد رأيناها كما يقول الأخباريون أنفسهم تنقض على البيت المالك من كندة وتثور عليه ، وتقتل امراءها منهم ، حال علمها بضعف ذلك البيت ، وبوفاة الرجل الذي جمع تلك القبائل بقوته ، ووحدها بشخصيته . والأقرب الى المنطق هو أن هذه القبائل لم تعرف برئاسة الخارث عليها ، وبتاجه عليها إلا لما رأته فيه من القوة ، وإلا بعد استعمال القوة والعنف مع عدد من القبائل ، فرضيت به ملكاً ما دام قوياً والأمر بيديه ، وهو منطق السياسة في الصحراء . وبهذا التفسير نستطيع فهم تكون ممالك أو امارات بسرعة عجيبة ، تظهر فجأة قوية تحتضن جملة قبائل ، ثم تسير بسرعة فتهدد حدود الدول الكبرى وتهاجمها كالفيضان ، فإذا أصيبت هذه الدول تمزقت أوصالها وتجزأت كما تتجزأ الفقاعة وتذوب . هكذا حياة الممالك في البوادي ، ممالك تولد ، وأخرى تموت .

ويذكر الأخباريون أن الخارث الكندي جمع الى ملكه ملك الحيرة وآل نجم ، وذلك في زمن قباد . ورووا في ذلك جملة روايات عن كيفية تولي الخارث ملك الحيرة ، وطرده للملكها الشرعي وتولى الحكم دونه . فرووا أن الزمن لم يكن مؤاتياً لـ (قباد) يوم أوتي الحكم . كانت الأحوال مضطربة ، والفتن رافعة رأسها في مواضع متعددة ، والنفوذ في المملكة بيد الموابذة ، ولموبدان موبد الكلمة العليا ، إذ هو الرئيس الروحي الأعلى في المملكة ، كما كان للأغنياء وللأقطاعيين الشأن الأول في سياسة الدولة . فلم يعجب قباد الوضع ، لأنه (ملك الملوك) (شاهنشاه) ومن حق (ملك الملوك) الا ينزع في الملك ، ففكر في طريقة لتقليص ظل الموابذة والمتنفذين في المملكة من كبار الأغنياء والملاكين ، ورأى أن خير ما يفعله في هذا الباب ، هو نشر تعاليم مزدك بين الناس . فإذا انتشرت كانت كفيلة بالقضاء على الأغنياء وعلى رجال الدين المتنفذين^١ . وكان مزدك وأصحابه يقولون ان الناس تظالموا في الأموال والأرزاق ، فاعتصبها بعضهم من بعض ، وان الأغنياء قد اغتصبوا رزق الفقراء ، وانهم يأخذون للفقراء من الأغنياء ، ويردون من المكثرين على المقلين ، وانه من كان عنده فضل من الأموال والنساء والأمتعة ، فليس هو بأولى به من غيره . فافترض السفلة ذلك ، واغتمموه ، وكانوا مزدك وأصحابه وشايعوهم فابتلي الناس بهم ، وقوى أمرهم حتى كانوا

Noldeke, Aufsätze zur Persischen Geschichte, Leipzig, 1887, S. 109.

يدخلون على الرجل في داره ، فيغلبونه على منزله ونسائه وأمواله ، لا يستطيع الامتناع منهم^١ . هكذا وصف الطبري وغيره من الأخباريين دعوة مزدك . فهي على هذا الوصف دعوة اشتراكية جاءت مقوضة لرجال الدين والاقطاعيين ومتنفذة الأغنياء .

فلما شايع قباز المزدكية ، اجتمعت كلمة (موبدان موبد) والعطاء على ازالته من ملكه ، فأزالوه عنه وحبسوه ، وعينوا أخاه جاماسب مكانه . ويذكر الطبري ان ذلك كان في السنة العاشرة للملك قباز ، فيكون ذلك في سنة (٤٩٨ م) على رأي من جعل ابتداء ملكه في عام (٤٨٨ م)^٢ . وقدّر حدوثه أيضاً في سنة (٤٩٦ م)^٣ . وقد مكث أخوه ملكاً ست سنوات ثم أزاله عنه أخوه قباز الذي أفلت من السجن في قصة يرويها الأخباريون ، واستعاد قباز بذلك ملكه^٤ . فتكون استعادته ملكه في حوالي سنة (٥٠٤) أو (٥٠٢ م) . وقد مكث ملكاً حتى انتقل الى العالم الثاني في سنة (٥٣١ م) .

وتذكر رواية الأخباريين هذه ، ان الملك قباز طلب من المنذر بن ماء السماء الدخول فيما دخل فيه من مذهب مزدك وزندقته ، فامتنع ، فاغتاظ قباز وانزعج منه ، ودعا (الحارث بن عمرو) الى ذلك ، فأجابه ، فاستعمله على الحيرة . وطرده المنذر من مملكته ، فعظم سلطان الحارث ، وفخم أمره ، وانتشر ولده ، فلكهم على بكر وتميم وقيس وتغلب وأسد^٥ . وكان من حلّ نجداً من أحياء نزار تحت سلطان الحارث دون من نأى منهم عن نجدة^٦ . فتربط هذه الرواية كما نرى بين زندقة قباز وعزل المنذر وتنصيب الحارث ملكاً على الحيرة ، بقبوله مذهب قباز. وروى (حمزة) ان الحارث كان قد طمع في ملك (آل نحم) ، وكان قد وجد ان (قباز) ضعيف الهمة فاتر العزم ، غير ميال الى القتال ، وانه سوف لا يساعد آل نحم ، إن هو هاجمهم ، لذلك ساق كندة ومن كان معه من بكر ابن وائل عليهم ، وباغت سادة الحيرة ولم يتمكنوا من الوقوف أمامه ، فهرب

١ الطبري (٨٨/٢) .

٢ Ency. Brita., Vol., 17, P. 574, Ency., 4, P. 178.

٣ Noldeke, Aufs., S. 109.

٤ الطبري (٨٧/٢) .

٥ ابن الاثير (٢٠٩/١) ، الطبري (٨٩/٢ وما بعدها) ، المحبر (ص ٣٦٩) .

٦ حمزة (ص ٩٢) .

(المنذر) من دار مملكته بالحيرة ومضى حتى نزل الى (الجرساء الكلبي) وأقام عنده الى أن تغير الحال بوفاة قباذ ، وتبدل سياسة الحكومة بتولي (كسرى أنوشروان) الملك . فعاد الى ملكه وقهر الحارث وتغلب عليه واستعاد ما اغتصب منه^١ .

وذكر (حمزة) ان سبب لجوء (بكر بن وائل) الى الحارث ، وخضوعها لحكمه واشتراكها معه في مهاجمة (آل لحم) وانتزاع الحكم منهم ، هو أن (امرأ القيس البدء) كان يغزو قبائل (ربيعة) ، فينكي فيهم ، ومنهم أصاب (ماء السماء) ، وكانت تحت (أبي حوط الخطائر) فثارت به (بكر بن وائل) فهزموا رجاله ، وأسروه ، وكان الذي ولي أسره (سلمة بن مرة بن همام بن مرة بن ذهل بن شيان) ، فأخذ منه الفداء وأطلقه ، فبقيت تلك العداوة في نفوس (بكر بن وائل) الى أن وهن أمر الملك (قباذ) ، فعندها أرسلت بكر الى الحارث بن عمرو فلكوه ، وحشدوا له ، ونهضوا معه حتى أخذ الملك ودانت له العرب^٢ .

وبهذه الكيفية شرح (حمزة) كيفية تولي (الحارث) عرش الحيرة ، وسبب بغض (بكر بن وائل) لآل لحم ، بغضاً دعاها الى تنصيب (الحارث) ملكاً عليها ، وعلى الانتقام من آل لحم .

ولابن الكلبي رواية عن كيفية تولي الحارث ملك الحيرة ، ذكر « ان قباذ ملك فارس لما ملك كان ضعيف الملك ، فوثبت ربيعة على النعمان الأكبر ابي المنذر الأكبر ذي القرنين . وإنما سمي ذا القرنين لضفرين كانا له ، فهو ذو القرنين بن النعمان بن الشقيقة . فأخرجوه ، فخرج هارباً حتى مات في إباد ، وترك ابنه المنذر فيهم ، وكان أرجى ولده عنده . فتنطلق ربيعة الى كنده . وكان الناس في الزمن الأول يقولون ان كنده من ربيعة . فجاءوا بالحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار الكندي ، فلكوه على بكر بن وائل ، وحشدوا له ، وقاتلوا معه ، فظهر على ما كانت العرب تسكن من أرض العراق ، وأبى قباذ أن يمد المنذر بجيش . فلما رأى ذلك المنذر ، كتب الى الحارث بن عمرو : إني في غير قومي ، وأنت أحق من ضمتي واكتفني ، وأنا متحول اليك . فحوّله اليه ، وزوجه

١ حمزة (ص ٧٠ وما بعدها) .

٢ حمزة (ص ٧٠ وما بعدها) .

ابنته هنداً . ففرق الحارث بن عمرو بنيه في قبائل العرب ، فصار شرحبيل بن الحارث في بكر بن وائل وحنظلة بن مالك وبني زيد بن تميم وبني أسد وطوائف من بني عمرو بن تميم والرباب ، وصار غلفاء وهو معديكرب في قيس ، وصار سلمه بن الحارث في بني تغلب والنمر بن قاسط وسعد بن زيد مناة بن تميم ... ومع معديكرب الصنائع ، وهم الذين يقال لهم بنو ربيعة أم لهم ينسبون اليها . وكانوا يكونون مع الملوك من شذاذ الناس . فلما هلك أبوهم الحارث بن عمرو ، تشتت أمرهم وتفرقت كلمتهم ، ومشت الرجال بينهم ، وكانت المغاورة بين الأحياء الذين معهم ، وتفاقم أمرهم حتى جمع كل واحد منهم لصاحبه الجموع وزحف اليه بالجيوش ... »^١ .

ولابن الكلبي رواية أخرى دوتها الطبري ، هذا نصها : « لما لقي الحارث ابن عمرو بن حجر بن عدي الكندي النعمان الأكبر ، وملك الحارث بن عمرو الكندي ما كان يملك بعث قباذ بن فيروز ملك فارس الى الحارث بن عمرو الكندي انه قد كان بيننا وبين الملك الذي قد كان قبلك عهد ، واني احب أن ألقاك .

وكان قباذ زنديقاً يظهر الخير ويكره الدماء ، ويداري أعداءه فيما يكره من سفك الدماء ، وكثرت الأهواء في زمانه واستضعفه الناس . فخرج اليه الحارث ابن عمرو الكندي في عدد وعدة حتى التقوا بقنطرة الغيوم ... فلما رأى الحارث ما عليه قباذ من الضعف ، طمع في السواد ، فأمر أصحابه مساحه أن يقطعوا الفرات ، فيغيروا في السواد ، فأتى قباذ الصريخ وهو بالمدائن فقال : هذا من تحت كنف ملكهم . ثم أرسل الى الحارث بن عمرو ان لصوصاً من لصوص العرب قد أغاروا ، وانه يجب لقاءه ، فلقيه . فقال له قباذ : لقد صنعت صنيعاً ما صنعه أحد من قبلك . فقال له الحارث : ما فعلت ولا شعرت ، ولكنها لصوص من لصوص العرب ، ولا أستطيع ضبط العرب الا بالمال والجنود . قال له قباذ : فما الذي تريد؟ قال : أريد أن تطعمني من السواد ما أتخذ به سلاحاً . فأمر له بما يلي جانب العرب من أسفل الفرات ، وهي ستة طساسيح . فأرسل الحارث بن عمرو الكندي الى تبع وهو باليمن : إني قد طمعت في ملك الأعاجم ، وقد أخذت منه ستة طساسيح ،

١ المفضليات (ص ٤٢٧ وما بعدها) ، النقائض (ص ١٠٧٢ وما بعدها) ، (طبعة ليدن) .

فاجمع الجنود ، وأقبل فجمع تبع الجنود ، وسار حتى نزل الحيرة، وقرب من الفرات ، فأذاه البق ، فأمر الحارث بن عمرو أن يشق له نهر الى النجف ، وهو نهر الحيرة ، فترل عليه ، ووجه ابن أخيه شمر ذي الجناح الى قباد، فقاتله فهزمه شمر حتى لحق بالري . وقد ترك ابن الكلبي الاشارة الى الحارث وظهر الى الحديث عن فتوحات شمر الذي أوصل فتوحاته الى القسطنطينية ، ثم الى رومة (رومية) ، ثم الى عودة (تبع) وتهوده بتأثير أخبار يثرب ، ثم الى علم (كعب الأحبار) الذي استمده على حد قوله من بقية ما أورثت أخبار يهودا .

ويرى (موسل) ان التقاء (الحارث) بـ (قباد) (٤٨٨ - ٥٣١ م) عند قنطرة الفيوم ، كان سنة (٥٢٥) للميلاد^٢ . والفيوم موضع لا يبعد كثيراً عن (هيت)^٣ .

يفهم من رواية ابن الكلبي هذه ان الحارث التقى بملك الحيرة (النعمان بن المنذر) في معركة أسفرت عن مقتل (النعمان) وفرار المنذر ابنه ، وعن انتصار عرب الحارث على عرب الحيرة، واستيلاء الحارث على ما كان يملكه النعمان . فلما حدث هذا ووقع ، اضطر (قباد) الى ملاطفة الحارث واسترضائه . ولكن الحارث طمع في أكثر من ذلك ، طمع في السواد ، فأقطعه منه ما يلي جانب العرب من أسفل الفرات ، أقطعه منه ستة طساسيح . فليس في هذه الرواية اشارة الى قبول (الحارث) الدخول في المزدكية ، ولا الى طرد النعمان من ملكه نتيجة لرفضه اتباعه في دينه ، انما هو ضعف قباد وعجزه عن مساعدة صاحبه النعمان وانتهاز الحارث الذكي هذه الفرصة المواتية للاستيلاء على ما طمع فيه من ملك النعمان . أما الشق الثاني ، وهو خبر (تبع) ، وحروبه ومساعدته له ، فهو على ما يظهر من هذا النحو الذي ألفناه في ربط تأريخ كندة باليمن ، والإشادة بماضي القحطانيين وانفرادهم بالملك دون خصومهم العدنانيين ، والى عدم تمكن كندة من العمل وحدها لولا مساعدة اليانيين .

يستنتج من كل هذه الروايات أن (الحارث بن عمرو) الكندي اغتصب عرش الحيرة أمدأ ، اغتصبه من (النعمان بن امرئ القيس بن الشقيقة) ، أو

١ الطبري (٢ / ٨٩ وما بعدها)
٢ Musil, Middle Euphrates, P. 350.
٣ البلدان (٦ / ٤١٤) .

(المنذر الأكبر بن ماء السماء) أو (النعمان الأكبر أبو المنذر الأكبر ذو القرنين) ،
 و (ذو القرنين) ، هو (ذو القرنين بن النعمان بن الشقيقة)^١ ، أو (النعمان
 ابن المنذر بن امرئ القيس بن الشقيقة)^٢ ، وذلك في زمن (قباذ) ملك الفرس .
 ويقصد ب (قباذ) هذا (قباذ) الأول الذي حكم ثلاثاً وأربعين سنة على ما
 جاء في الأخبار^٣ . ويقدر العلماء ذلك من سنة (٤٨٨) حتى سنة (٥٣١) بعد الميلاد^٤ .

ولنتمكن من تعيين اسم الملك الذي قصده الرواة ، علينا الرجوع الى أسماء من
 حكم في أيام قباذ من ملوك الحيرة ، وذلك على نحو ما رواه لنا الأخباريون .

ان أول من حكم في عهد (قباذ) ، على ما يدعيه (حمزة) ، هو الملك
 (الأسود بن المنذر) ، وقد حكم في أيامه ست سنين . ثم المنذر بن المنذر ،
 وأمه (هر) ، وقد حكم سبع سنين . ثم النعمان بن الأسود ، وأمه ام الملك
 بنت عمرو بن حجر أخت (الحارث بن عمرو بن حجر الكندي) ، أربع سنين .
 ثم أبو يعفر بن علقمة الذميلي ، وقد حكم ثلاث سنين . ثم امرؤ القيس بن النعمان
 ابن امرئ القيس ، وقد حكم سبع سنين . ثم امرؤ القيس بن النعمان بن امرئ
 القيس ، وقد حكم سبع سنين . ثم المنذر بن امرئ القيس المعروف بالمنذر بن
 ماء السماء ، وهو ذو القرنين ، وقد حكم اثنتين وثلاثين سنة من ذلك ست سنين
 في زمن قباذ . ثم الحارث بن عمرو بن حجر الكندي ، ولم يذكر (حمزة) مدة
 حكمه ، انما قال : « ذكر هشام عن ابيه انه لم يجد الحارث فيمن أحصاه كتاب
 أهل الحيرة من ملوك العرب . ثم قال : وظني انهم انما تركوه لأنه توثب على
 الملك بغير اذن من ملوك الفرس ، ولأنه كان بمعزل عن الحيرة التي كانت دار
 المملكة ولم يعرف له مستقر وانما كان سياراً في أرض العرب »^٥ . ولم يذكر
 حمزة مدة حكم (قباذ)^٦ .

أما (الطبري) ، فجعل (النعمان بن المنذر بن امرئ القيس بن الشقيقة)

١ المفضليات (ص ٤٢٧) .

٢ Ollender, P. 58.

٣ الطبري (٨٩/٢) .

٤ Ency., IV, P. 178.

٥ حمزة (ص ٦٩ - ٧٢) .

٦ حمزة (ص ٣٩) .

الملك الذي كان قد حكم حينما تولى (قباذ) الحكم ، وجعل (الحارث بن عمرو ابن حجر) الذي قتل النعمان على روايته من بعده . وقد دام حكمه على ما يظهر من رواية الطبري حتى أيام (كسرى أئو شروان بن قباذ) . فلما قوي شأن (كسرى أئو شروان) ، بعث الى المنذر بن النعمان الأكبر ، وأمه ماء السماء ، فملكه الحيرة وما كان يلي آل الحارث بن عمرو بن حجر^١ .

أما (ابن الأثير) ، وهو عيال على الطبري وناقل منه ، فقد ذكر ما ذكره الطبري ، وأضاف اليه : أن المنذر بن ماء السماء لما بلغه هلاك قباذ ، وقد علم خلافه على أبيه في مذهبه ، أقبل الى (أئو شروان) فعرفه نفسه ، وأبلغه أنه سيعيده الى ملكه، وطلب (الحارث بن عمرو) ، وهو بالأنبار ، فخرج هارباً في صحابته وماله وولده ، فر بـ (الثوية) ، فتبعه المنذر بالخيول من تغلب واياذ وبهراء ، فلحق بأرض كلب ، ونجا ، وانتهبوا ماله وهجائنه ، وأخذت بنو تغلب ثمانية وأربعين نفساً من بني آكل المرار ، فقدموا بهم على المنذر ، فضرب رقابهم بـ (جفر الأميال)^٢ (جفر الأملاك) في ديار بني مرينا العباديين بين دير بني هند والكوفة^٣ .

ترى مما تقدم اختلاف الروايات وتباينها وتعددتها ، حتى ان الراوية الواحد مثل (ابن الكلبي) يروي لنا جملة روايات ، قد يناقض بعضها بعضاً . لقد وجدنا منها ما زعمت ان قباذ طرد المنذر من مملكته، وأحل الحارث محله، ومنها ما زعمت ان المنذر استرضى الحارث بعد أن رأى عجزه وعجز صاحبه ، فحوّله اليه ، وزوّجه ابنته هند ، ومنها ما ذكرت ان الحارث قتل النعمان بن المنذر بن امرئ القيس بن الشقيقة ، وان المنذر بن النعمان الأكبر فرّ ونجا بنفسه ، وان الحارث ملك بالقوة ما كان يملكه ملوك الحيرة وان قباذ داراه واسترضاه لما وجد فيه من البأس . فإذا نستخلص من مجموع هذه الروايات ؟

كل ما يستخلص منها ان الحارث استبد بملك آل لحم ، في أيام قباذ، وكان مركز هذا الملك صعباً بسبب ضعفه ، وبسبب العقيدة التي قبلها ، وهي عقيدة تناقض ما كان عليه الناس . وقد حكم أمداً : يظهر انه امتد مدة حكم قباذ ، ثم

١ الطبري (٨٩/٢ وما بعدها) .

٢ ابن الأثير (١٧٥/١) .

٣ البلدان (١٢٧/٤ وما بعدها) .

تغيرت به الأحوال ، فعاد أصحاب البيت الى بيتهم ، وهرب هو الى من حيث جاء . ولا نعرف على وجه التحقيق متى ولي الحكم ، ولا متى غادره .

لقد ذكرت أسماء الملوك الذين حكموا في أيام (قباذ) على رواية حمزة ، وهي رواية تكاد تتفق مع القائمة التي دوّنها الطبري في آخر كلامه عن (كسرى أنو شروان) نقلاً عن هشام بن الكلبي لأسماء ملوك الحيرة ومدد حكمهم ، وذلك قبل عهد (كسرى أنو شروان)^١ . فأى ملك من هؤلاء يمكن أن يكون هو الملك المقصود ؟

لقد ذكر (يوشع العمودي) (Joshua the Stylite) ان ملك الحيرة (النعمان) اشترك مع (قباذ) في المعارك التي وقعت بينه وبين الروم ، فأصيب النعمان بجروح بليغة على مقربة من (قرقيسياء) (Circesium) قضت عليه ، وذلك في سنة (٥٠٣) للميلاد . ولقد انتهز عرب الروم المسمون بالثعلبيين (بني ثعلبة) هذه الفرصة ، فغزوا الحيرة ، واضطرت القوة التي تركها النعمان في عاصمته الى الفرار للبادية . أفلا يجوز أن يكون هؤلاء الغزاة هم أعراب (الحارث الكندي) ، انتهزوا هذه الفرصة فأغاروا على الحيرة واستولوا عليها ، فصارت في قبضة (الحارث) على نحو ما رواه بعض الأخباريين ؟ ثم ألا يجوز أن يكون بعض الرواة قد سمعوا بمقتل (النعمان) ، فظنوا أن القاتل هو (الحارث) ، أو تعمدوا نسبة القتل اليه لرفع من شأن كندة ومن كان معها من قبائل^٢ ؟

ولكن من يثبت لنا أن هؤلاء الأعراب الثعلبيين ، أي من (بني ثعلبة) ، وهم من عرب الروم على حدّ قول (يوشع العمودي) هم من أتباع الحارث ، أو أنهم من (آل الحارث) أي من كندة ، وأن العائلة الكندية المذكورة كانت تعرف بـ (بني ثعلبة) . وليس في الذي بين أيدينا من موارد ، مورد واحد يذكر بأن (آل آكل المرار) هم من (بني ثعلبة) أو أنهم كانوا قد عرفوا بـ (بني ثعلبة) في يوم من الأيام ، أو أنهم كانوا قد خضعوا لسلطان الروم . لذلك ، لا أظن ان (يوشع العمودي) قصد بالثعلبيين عرب الروم ، كندة ،

١ الطبري (٩٤/٢) .

٢ (قرقيسياء) ، البلدان (٥٩/٧) ،

Olinder, P. 59, Ency., II, P. 765, Musil, Euphrates, P. 334.

وانما قصد أعراباً من اعراب الروم ، كانوا يعرفون بـ (بني ثعلبة) أو (آل ثعلبة) ، وكانوا يتمتعون باستقلالهم تحت حماية الروم . ولما وجدوا فرصة ما حل بالنعمان من جروح في الحرب التي خاضها مع الفرس على الروم ، هاجموا الحيرة فانتهبوا ، وكانت حاميتها ضعيفة ففرت الى البادية ، ولم يذكر المؤرخ مدة مكوث هؤلاء الأعراب في الحيرة ، والظاهر انها لم تكن سوى مدة قصيرة ، وانها كانت من نوع غارات الأعراب على المدن : غزو خاطف ، يعقبه انسحاب عاجل لتأمين سلامة ما ينهبونه وايصاله الى ديارهم حتى لا تتمكن القوات السبي ستأتي لمعاقتهم من أخذ ما حصلوا عليه من غنائم وأموال .

ويظهر أن حكم كندة للحيرة لم يكن طويلاً ، ويظن أنه كان بين سنة (٥٢٥) وستة (٥٢٨) للميلاد ، وذلك في أثناء ظهور فتنة المزدكية في إيران^١ . وليس بمستبعد أن يكون الحارث قد اتصل بالفرس قبل هذا الزمن ، في أثناء صلح سنة (٥٠٦) للميلاد ، او على اثر الفتور الذي طرأ على علاقاته بالبيزنطيين ، لأنه وجد ان الاتفاق مع الفرس يعود عليه بفوائد ومنافع لا يمكن أن يغتنمها من الروم ، ووجد بكرةً وتغلب قد زحفتا اذ ذاك من مواطنها القديمة في الهامة ونجد نحو الشمال تريدان النزول في العراق . وقد أقره الفرس على المناطق الصغيرة أو الواسعة التي استولى عليها لقاء جعل^٢ .

لم يكن من مصلحة ملك الحيرة ، بالطبع ، الرضى بنزول منافس قوي أو منافسين أقوياء في أرضه أو في أرض مجاورة له . فلما ظهر الحارث في العراق ، وعرف ملك الحيرة نياته وتقربه الى الفرس ، وملك الحيرة ، هو باعتراف الفرس (ملك عرب العراق) ، لم يكن من المعقول سكوته انتظاراً للنتائج . ومن هنا وقع الاختلاف^٣ .

لم تكن العلاقات حسنة بين قباذ والمنذر ملك الحيرة ، لسبب غير واضح لدينا وضوحاً تاماً ، قد يكون بسبب المزدكية ، وقد يكون بسبب تقرب الحارث الى الفرس واقطاعهم اياه أرضاً وتودده الزائد الى قباذ ، وقد يكون لأسباب أخرى

Olinder, P. 65.

O. Blau, Arabien in Sechsten Jahrhundert, in ZDMG., Bd., 23, (1869), S. 579.

حمزة (ص ٦٥) ، Olinder, P. 65.

مثل تردد ملك الفرس وضعفه ، فلم تكن له خطة ثابتة مما أثر في وضع (ملك عرب العراق) . على كل حال ، فقد أدى هذا الفتور الى استفادة الحارث منه واستغلاله ، فتقرب الى الفرس وتودد اليهم حتى آل الأمر بأن يأخذ ملك الحيرة أمداً حتى تغيرت الأحوال في فارس بموت (قباذ) وتولى (كسرى أنوشروان) الملك من بعده ، فعاد المنذر عندئذ الى عرش الحيرة وأبعد الحارث عن ملكه . وآراء الأخباريين متباينة كذلك في المكان الذي اختاره الحارث للاقامة فيه بعد اغتصابه ملك (آل لخم) ، فبينما يفهم من بعض الروايات انه استقر في الحيرة وأقام فيها ، نرى بعضاً آخر يرى انه أقام في الأنبار^١ . وبينما يذكر (حمزة) أن الحارث حينما بلغه خبر قدوم المنذر عليه واقترابه من الحيرة ، هرب فبعثته خيل المنذر ، مما يفهم انه كان في الحيرة ، نجده يقول في موضع آخر : « ان الحارث كان بمعزل عن الحيرة التي كانت دار المملكة ، ولم يعرف له مستقر ، انما كان سيرة في أرض العرب »^٢ . ونجد صاحب الأغاني يذكر في موضع انه كان في الأنبار ، ويشير في موضع آخر انه كان في الحيرة^٣ .

وتتفق روايات الأخباريين على ان مجيء (كسرى أنوشروان) كان شراً على الحارث، وخيراً لآل لخم ، فقد كانت سياسة (أنوشروان) مناقضة لسياسة قباذ بسبب المزدكية . وقد ظهر اختلافها هذا في السنين الأخيرة من سني حكم قباذ^٤ . وقد أدى هذا الاختلاف الى محاربة المزدكية وسقوطها . ويحدثنا (ملالا) (John Malalas) ان سقوطها كان بعد وفاة (الحارث) وقبل غارة المنذر على بلاد الشام^٥ . وقد قام المنذر بها في شهر آذار من سنة (٥٢٨) للميلاد على رواية (ثيوفانس) (Theophanes)^٦ . وكانت وفاة الحارث في أوائل سنة (٥٢٨) للميلاد^٧ . ومن رواية هذين الكاتبين يتبين ان الحارث كان قد قضى نحبه قبل

١ اليقوبي (١٧٧/١) ، ابن الاثير (٢٠٩/١) ، الاغاني (٦٢/٨) (طبعة الساسي) .

٢ حمزة (ص ٧٢ ، ٩٣) ، Rothstein, Die Dynastie der Lakhmiden, S. 88.

٣ الاغاني (٦٢/٨) .

٤ Nöldeke, Die Sasaniden, S. 462, Christensen, Le Regne du Roi Kawadh I, et le Communisme Mazdaqite, PP. 124, Olinder, P. 65.

٥ John Malalas, Chronographia, Lib., XVIII, Col. 653, Olinder, P. 65.

٦ Olinder, P. 54, 65.

٧ Olinder, P. 54.

القضاء على المزدكية بمدة غير طويلة ، وان المنذر كان في آذار سنة (٥٢٨) للميلاد قد قام بغارته على بلاد الشام^١ .

ويستدل من اشارة (ملالا) و (ثيوفانس) الى موت الحارث في سنة (٥٢٨ م) ومن تلقيه بلقب (فيلارخس) أي عامل ، على ان علاقات الحارث بالروم في أواخر أيام حياته كانت حسنة . ومعنى هذا ان خلافاً او فتوراً كان قد وقع فيما بينه وبين الفرس ، دفعه على التقرب نحو خصوم الساسانيين وهم الروم ، فاتصل بهم وذلك في أيام (قباد) ، او في أيام (كسرى انوشروان)^٢ .

ويظهر ان تودد (الحارث) الى البيزنطيين لم يأت له بنتيجة او بفائدة تذكر . اذ يحدثنا الكاتبان (ملالا) و (ثيوفانس) ان قائد فلسطين الرومي (ديوميديس) (Diomedos) أجبر سيد قبيلة يدعى (اريتاس) (Aritas) ، اي (الحارث) على التراجع في اتجاه الهند (Indica) ، ويقصد بذلك جهة الجنوب او الشرق ، حيث كان يطلق البيزنطيون على العربية الجنوبية (الهند) . فلما سمع بذلك (الموندارس) (Alamoundaros) أي (المنذر) رئيس العرب (السرسيني) (Saracens) الخاضعين لنفوذ الفرس ، هجم على الحارث فقتله ، وغنم امواله وما ملكه ، وأسر اهله . فلما بلغ النبأ للقيصر (يوستنيانوس) (Justinianus) ، أمر حكام (فينيقية) (Phenicia) و (العربية) (Arabia) والجزيرة وعامل الحدود بتعقب المنذر ومهاجمته . وقد اشترك في هذه الحملة عدد من القادة والحكام ، وفي جملتهم سيد قبيلة اسمه (اريتاس) (Aritas) ، أي (الحارث) ، وهو الحارث بن جبلة الغساني على ما يظهر^٣ .

ولم يتعرض الأخباريون للخبر الذي ذكره الكاتبان عن كيفية قتل (الحارث) ولا عن الأمر الذي أصدره القيصر بتعقيب (المنذر) ، والظاهر انهم لم يقفوا عليه^٤ .

غير ان للأخباريين رواياتهم الخاصة عن مصير صاحبنا (الحارث) الكندي . حدث صاحب (الأغاني) ان (أنوشروان) حينما ملك ، أمر بقتل الزنادقة ،

١ Olinder, P. 65.

٢ Olinder, P. 66.

٣ Olinder, P. 53, Nöldeke, Sasaniden, S. 171.

٤ Olinder, P. 66.

أي أتباع مزدك ، « فقتل منهم ما بين جازر^١ الى النهروان الى المدائن في ضحوة واحدة مئة ألف زنديق وصلبهم »^٢ ، وأعاد المنذر الى مكانه ، وطلب « الحارث ابن عمرو ، فبلغه ذلك وهو بالأنبار وكان بها منزله ... فخرج هارباً في هجائه وماله وولده ، فمرّ بالثوية^٣ ، وتبعه المنذر بالخليل من تغلب وبهراء وإياد ، فلحق بأرض كليب ، فنجوا وانتهبوا ماله وهجائه ، وأخذت بنو تغلب ثمانية وأربعين نفساً من بني آكل المزار ، فقدمت بهم على المنذر ، فضرب رقابهم ب (جفر الأملاك) (حفر الأملاك) في ديار بني مرينا العبادين بين دير هند والكوفة .. »^٤ . وأضاف (ابن الأثير) الى هذا الخبر ان (تغلب) قبضت على ولدين من أولاد الحارث هما : (عمرو) و (مالك) في جملة الثمانية والأربعين ، فجاءت بهما الى المنذر في (ديار بني مرينا) فقتلهم^٥ .

ويحدثنا (ابن قتيبة) أن (المنذر) لما اقبل « من الحيرة هرب الحارث ، وتبعته خيل فقتلت ابنه عمرأ ، وقتلوا ابنه مالكاً بهيت ، وصار الحارث بمسحلان فقتلته كلب » . وزعم غير ابن قتيبة انه مكث فيهم حتى مات حتف أنفه^٦ . وذكر (حمزة) الروايات المدونة في كتاب (الأغاني) بحذف بعض كلماتها^٧ . ولم يشر اليعقوبي الى من قتل (الحارث) من ملوك الحيرة ، بل أوجز فقال : « ... وكانوا يجاورون ملوك الحيرة ، فقتلوا الحارث . وقام ولده بما كان في أيديهم ، وصبروا على قتال المنذر حتى كافؤوه^٨ . ويشعر على كل حال

-
- ١ (جازر) قرية من نواحي النهروان من اعمال بغداد قرب المدائن ، وهي قصبة طسوح الجازر ، البلدان (٣٦/٣) ، الأغاني (٨٠/٩) (طبعة دار الكتب المصرية) ، (١٩٣٦) ، الأغاني (٦٢/٨) (طبعة مطبعة التقدم) ، وفيها أغلاط عديدة .
 - ٢ الأغاني (٦٢/٨) ، (مطبعة التقدم) ، (٨٠/٩) (طبعة دار الكتب المصرية) .
 - ٣ الثوية : موضع قريب من الكوفة ، وقيل خريبة الى جانب الحيرة على ساعة منها . وقيل انه كان سجناً للنعمان بن المنذر كان يحبس به من أراد قتله ، البلدان (٢٨/٣) .
 - ٤ الأغاني (٦٢/٨) ، (٨٠/٩) (طبعة دار الكتب المصرية) .
 - ٥ ابن الأثير (٢٠٩/١) ، (جفر الأملاك) ، البلدان (١١٥/٣) ، ابن الأثير (٣٠٤/١) وما بعدها (الطباعة المنيرية) .
 - ٦ الأغاني (٦٢/٨) ، Musil, Middle Euphrates, P. 350 .
 - ٧ حمزة (ص ٩٣) ، (مسحلان) ، البلدان (٥١/٨) .
 - ٨ اليعقوبي (١٧٨/١) .

من جملة « وصبروا على قتال المنذر » ومن روايات الأخباريين الأخرى أن القتل كان في أيام المنذر .

وفي رواية أخرى أن الحارث بقي في كلب حتى توفي فيما بينهم حتف أنفه^١. وقد أضافت الرواية التي تنسب الى (أبي عبيدة) الى هذا الخبر انه دفن بـ (بطن عاقل)^٢ . والظاهر ان اضافة (بطن عاقل) إنما وقعت سهواً واشتباهاً، من باب عدم التمييز فسيا بين (حجر) الذي زعم انه دفن بـ (بطن عاقل) وبين (الحارث)^٣ .

وجاء في رواية أن الحارث خرج يتصيد ، فرأى جماعة من حمر الوحش فشدها عليها ، وانفرد منها حمار فتبعه ، وأقسم ألا يأكل شيئاً قبل كبده ، فطلبته الخيل ثلاثة أيام حتى أدركته ، وأتى به ، وقد كاد يموت من الجوع ، ثم شوي على النار واطعم من كبده وهي حارة ؛ فمات^٤ .

ولا تخلو هذه الروايات المتعلقة بموت (الحارث) ونهايته من مؤثرات العواطف القبلية التي صبغت كل الأخبار التي يرويها الأخباريون بهذه الصبغة . فكلب تدعي انها هي التي قتله ، وكندة تنكر ذلك مدعية انه مات كما يموت سائر الناس ، وأهل الحيرة يقولون انهم هم الذين قتلوه، قتلوه في حرب . وأبو الفرج الأصبهاني يقول : « فكلب يزعمون انهم قتلوه ، وعلماء كندة تزعم انسه خرج الى الصيد فالظ بتيس من الظباء ، فأعجزه فألى أن لا يأكل أولاً إلا من كبده ، فطلبته الخيل ثلاثاً ، فأتى بعد ثلاثة ، وقد هلك جوعاً ، فشوى له بطنه فتناول فلذة من كبده ، فأكلها حارة فمات »^٥ .

ولورود خبر مقتل (الحارث) مسجلاً تسجيلاً دقيقاً لدى الكاتبين المذكورين : (ملالا) و (ثيوفانس) ، ومطابقتها لرواية أهل الحيرة في النتيجة ، وهو ان مقتله كان على أيدي (المنذر) وجماعته نرجح هذه الرواية على غيرها من الروايات.

- ١ (وزعم ابن قتيبة أنه مكث فيهم حتى مات حتف أنفه) ، الاغانى (٦٢/٨) ، أبو الفداء (٧٤/١) .
- ٢ العقد الفريد (٧٧/٣) ، نهاية الارب (٤٠٦/١٥) ، العقد الفريد (٧٨/٦) وما بعدها (طبعة محمد سعيد العريان) ، Oilnder, P. 68.
- ٣ Oilnder, P. 68.
- ٤ أيام العرب (٤٦) .
- ٥ الاغانى (٦٢/٨) ، ابن الاثير (٢١٠/١) .

ويظهر من غريلة الروايات التي رواها أهل الأخبار عن نهاية (الحارث) أنها قد اختلفت فيما بينها وتضاربت في موضوع نهايته ، فزعم بعض منها ، انه قتل وان قاتله هو (المنذر بن ماء السماء) ، وزعم بعض آخر انه قتل ، ولكنه لم يصرح باسم قاتله ، وزعم بعض آخر انه هلك ، وانه لم يقتل ، وانما مات حتف أنفه^١ . والذي أرجحه انه قتل ، قتل في أثناء المعارك التي وقعت من جراء تعقب المنذر بن ماء السماء له .

ولا نكاد نعرف شيئاً يذكر عن أعمال الحارث في أثناء توليه ملوكية قبائل (معد) غير ما ذكره الرواة من انه وزّع أولاده عليها ، وجعلهم ملوكاً على تلك القبائل . كذلك لا نكاد نعرف شيئاً يذكر عن أعماله وهو ملك على الحيرة ، فأصحابنا الأخباريون سكوت عن هذه الأمور . ويفهم من كلام بعض الأخباريين عن (الحارث) انه حينما نزل ببيكر بن وائل ، أقام بـ (بطن عاقل) ، ومنه غزا بهم ملوك الحيرة اللخمين ، وملوك الشام الغسانيين ، وفيه كانت نهايته^٢ .

وفهم من بيت في ديوان (امرئ القيس) ان ملك الحارث قد امتد من العراق الى عمان . ولا تعني أمثال هذه الأقوال امتلاكاً فعلياً ، بل كانت تحدث في الواقع عن اتفاقات تعقد بين القبائل يعترف فيها بالرياسة لمن له النفوذ الأكبر والمكانة ، فإذا حدث حادث للرئيس الذي تمكن بمكانته ومنزله من ضم هذه القبائل وتوحيدها ، أنهت كيانه ذلك الاتحاد وتشتت شمله ، كالذي حدث بعد وفاة الحارث كما سنرى فيما بعد . وقد لا تعني هذه الأقوال سوى المبالغات والفخر ، على نحو ما يرد في شعر غيره من الشعراء من امتلاكهم الدنيا ومن عليها ، ومن تدوينهم القبائل والناس ، وليس في الواقع أي شيء مما جاء في دعوى أولئك الشعراء المفتخرين .

ويحدثنا (ابن الكلبي) انه كان للحارث زوجات ثلاث ، هن : أم قطام بنت سلمة بن مالك بن الحارث بن معاوية ، وأسماء ، ورقية أمة أسماء . وقد زعم ابن الكلبي ان أم قطام وأسماء كانتا شقيقتين ، وأما رقية ، فكانت أمة لأسماء . وقيل أيضاً : « هن أخوات ، فجمعهن جميعاً »^٣ . وزوجه بعض

١ البداية والنهاية ، لابن كثير (٢٠٨/٢) .

٢ نهاية الارب ٤٠٦/١٥ ، العقد الفريد (٧٨/٦) (طبعة العريان) .

٣ المفضليات (ص ٤٢٩ ، ٤٣٢) .

الأخباريين بامرأة أخرى هي : (أم أناس) بنت (عوف بن محلم بن ذهل بن شيبان) ، وهي والددة (عمرو بن الحارث) المعروف عندهم بـ (ابن أم أناس) (ابن أم إياس)^١ . وفي رواية (ابن السكيت) ان (أم قطام بنت سلمى) هي امرأة من (عترة)^٢ .

وقد دون لنا الرواة أسماء جملة أولاد من أبناء (الحارث) ، ذكروا منهم حجر وشرحبيل ومعديكرب وعبدالله وسلمة، ومحرق ومالك وعمر^٣ . وأم (حجر) هي : (أم قطام)^٤ .

ويذكر أهل الأخبار انه كان للحارث ابن ، حجّ ففقده ، فاتهم به رجل من بني أسد يقال له حبال بن نصر بن غاضرة . فأخبر بذلك الحارث ، فأقبل حتى ورد تهامة أيام الحج ، وبنو أسد بها . فطلبهم ، فهربوا منه . فأمر منادياً فنادى من آوى أسدياً قدمه جبار . ثم إن الملك عفا عنهم وأعطى كل واحد منهم عصا أماناً له . وبنو أسد يومئذ قليل . فأقبلوا الى تهامة ومع كل رجل منهم عصا . فلم يزلوا بتهامة حتى هلك الحارث ، فأخرجتهم بنو كنانة ، وسموا عبيد العصا ، بالعصا التي أخذوها^٥ .

ويذكر أهل الأخبار انه كانت للحارث بن عمرو بنت اسمها هند ، وقد تزوجها المنذر بن ماء السماء ، وهي والددة الملك (عمرو بن هند) وشقيقة (قابوس) وعممة الشاعر امرئ القيس^٦ .

وهم يذكرون أن ملك الحارث لما توسع واشتغل هو بالحيرة عما كان يراعيه من أمور البوادي ، تفاسدت القبائل وفشا بينها الشر ، فجاء أشرافها فشكوا ما حل بهم من غلبة السفهاء ، وطلبوا اليه أن يملك عليهم أبناءه ، فللك ابنه حجراً على بني أسد وغطفان ، وملك ابنه شرحبيل على بكر بن وائل بأجمعها وعلى

١ ابن الاثير (٢٠٧/١) .

٢ الاغانى (٦١/٨) .

٣ الاغانى (٦٢/٨ وما بعدها) ، المفضليات (ص ٤٣٢) ، ابن الاثير (٢٠٩/١) ،

٤ شرح القصائد العشر ، للزوزني (ص ٧) .

٥ ديوان بشر بن أبي خازم الاسدي (ص ١٢٥ وما بعدها) ، مجمع الامثال ،

للميداني (١٩/٢ وما بعدها) .

٦ الشعر والشعراء (٥٠/١ وما بعدها) ، (ص ٤٣) ، (طبعة ليدن) .

بني حنظلة بن مالك بن زيد مناة وطوائف من بني دارم بني تميم والرباب ،
وملك ابنه معديكرب على بني تغلب والنمر بن قاسط وسعد بن زيد مناة وطوائف
من بني دارم بن حنظلة والصنائع ، وهم بنو رقية : قوم كانوا يكونون مع
الملوك من شذاذ العرب ، ومَلَّكَ ابنه عبد الله على عبد القيس ، ومَلَّكَ ابنه
سلمه على قيس عيلان^١ . وقيل إن شرحبيل بن الحارث ملك في بكر بن وائل
وحنظلة بن مالك وبني زيد بن تميم وبني أسيد وطوائف من بني عمرو بن تميم
والرباب ، ومعديكرب في قيس والصنائع ، وهم بنو رقية ، وسلمة في بني
تغلب والنمر بن قاسط وسعد بن زيد مناة^٢ .

وقد اكتفى (حمزة) بقوله : « وانتشر ولده ، فلكلهم على بكر وتميم وقيس
وتغلب وأسد »^٣ . وهناك روايات أخرى تختلف في التفاصيل وفي الأمور الثانوية
عن هذه الروايات التي ذكرتها بعض الاختلاف^٤ ، سأشير إليها في أثناء البحث
عن هؤلاء الأولاد .

وذكر (ياقوت الحموي) رواية رجعها الى (أبي زياد الكلابي) ، خلاصتها
أن (مضر) و (ربيعة) اجتمعت على أن يجعلوا منهم ملكاً يقضي بينهم ،
فكل أراد أن يكون منهم ، ثم تراضوا أن يكون من (ربيعة) ملك ومن (مضر)
ملك ، ثم أراد كل بطن من ربيعة ومن مضر أن يكون الملك منهم ، ثم اتفقوا على أن يتخذوا
ملكاً من اليمن . فطلبوا ذلك الى (بني آكل المرار) من كندة ، فلكت بنو عامر
شراحيل بن الحارث الملك بن عمرو المقصور بن حجر آكل المرار ، وملك
بنو تميم وضبة محرق بن الحارث ، وملك وائل شراحيل بن الحارث . وتختلف
هذه الرواية كما ترى بعض الاختلاف عن رواية لـ (ابن الكلبي) ذكرها (ياقوت)
أيضاً ، هي ان سلمة بن الحارث ملك (بني تغلب) و (بكر بن وائل) ،
وأما (غلفاء) وهو (معديكرب) (معدي كرب) ، فقد ملك بقية (قيس) ،

١ الاغانى (٦٢/٨ وما بعدها) ، (٨٢/٩) (طبعة دار الكتب المصرية) ، البلدان
(٤٧٢/٤) (كلاب) ، نقائض جرير والفرزدق (٤٥٢/١) (تحقيق بيفسان)
(ليدن ١٩٠٧) .

٢ المفضليات (ص ٤٢٨) ، Ency., II, P. 1018.

٣ حمزة (ص ٩٢) .

٤ خزانة الادب (٥٠٠/٢) .

وأما (أسد) و (كنانة) ، فقد ملكت عليها (حجر بن الحارث) ، أي والد امرئ القيس^١ .

أما (حجر) ، فهو أكثر هؤلاء الأولاد ذكراً عند الأخباريين . وهو والد الشاعر الجاهلي المعروف (امرئ القيس) . وقد يعود الفضل الى هذا الشاعر في ذبوع شهرة والده وانتشار خبره ، وحفظ أخبار هذه الأسرة من كندة . وهو أكبر أولاد الحارث ، واليه انتقلت عامة كندة بعد وفاة والده^٢ . وهو ابن (أم قطام بنت سلمة بن مالك بن الحارث بن معاوية) من كندة^٣ .

ملك (الحارث) ابنه (حجراً) كما ذكرت الأخبار على أسد وكنانة وهما قبيلتان من قبائل مضر . وتقع مواطن (أسد) الرئيسية في القرن السادس للميلاد في جنوب جبلي طيء (أجاً) و (سلمى) ، ويسميان جبل شمر في الزمن الحاضر على جانبي بطن الرمة (وادي الرمة) ، غير ان بطونها متفرعة منتشرة في مناطق واسعة تمتد من المدينة الى نهر الفرات^٤ . ولكنها لم تكن سيدة هذه الأرضين ، بل كانت تعيش مع غيرها من القبائل متفرقة^٥ . ويظن انها (استينوى) (Asatynoi) الساكنة في أرض تسمى بهذا الاسم في (جغرافيا) بطليموس^٦ . وتعدّ هذه القبيلة في عرف النسابين من نسل (أسد بن خزيمه بن مدركة بن مضر) ، وهي شقيقة (الهون) و (كنانة)^٧ .

وروى المؤرخ (ثيوفانس) أن (رومانس) (Romanus) حاكم فلسطين في أيام (أنسطاسيوس) (Anastasius) ، هزم في سنة (٤٩٠) للميلاد سيدي قبيلتين ، هما : (جبلس) (Gabalas) (Jabalas) و (اوكاروس) (Ogaros) ابن (ارتاس) (Aretas) ، أي الحارث من (آل ثعلبة) (Thalabanys) ، ويظن أن (Gabalas) هو (جبلة) ، والد الحارث بن جبلة

١ البلدان (٤٢٩/٣) .

٢ Olinder, P. 76.

٣ المفضليات (ص ٤٢٩) .

٤ O. Blau, Arabien Im Sechsten Jahrhundert, In ZDMG., BD., 23, S. 579,

٥ Olinder, P. 74.

٦ Olinder, P. 74, Ency., I, P. 474.

٧ Ency., I, P. 474.

٨ Pauly-Wissowa, Ogaros, Olinder, P. 51, Ency., II, P. 1019.

الفساني . وأما (Ogaros) ، فبرى بعض المستشرقين أنه (حجر بن الحارث ابن عمرو الكندي) . وقد وقع أسيراً في قبضة (رومانوس) . ويرى (أوليندر) أن في تقدير هذا المؤرخ بعض الخطأ وأن التاريخ الصحيح هو سنة (٤٩٧) للميلاد^١. ثم أشار هذا المؤرخ الى تحرش آخر قام به بعد أربع سنوات سيد قبيلة اسمه (Madikaripos) (Madicaripos) كان شقيقاً لـ (Ogaros) . أوغل في الغزو وأوقع الرعب في جند الروم . وقد قصد (ثيوفانس) بـ (Madikaripos) (معديكرب بن الحارث) شقيق حجر .

وكان من نتائج هذه الغارات كما يقول هذا المؤرخ أن عقد القيصر (أنسطاسيوس) صلحاً مع (Aretas) أي الحارث ، والد الأخوين المذكورين ، فخيم الأمن بذلك على فلسطين والعربية وفينيقية^٢. وقد أشار الى هذا الصلح المؤرخ (نونوسوس) (Nonnosus) ، حيث ذكر ان القيصر (أنسطاسيوس) أرسل جده الى (Aretas) لمفاوضته في عقد صلح . ويظهر من قول هذا المؤرخ أن هاتين الغزوتين كانتا في حياة (Aretas) .

ولم يشر الأخباريون الى هذه الغزوات التي قام بها (حجر) و (معديكرب) على حدود سورية وفلسطين في عهد (أنسطاسيوس) كما روى ذلك هذا المؤرخ^٣. وورد أن حجراً أغار على اللخمين في أيام امرئ القيس والد المنذر بن ماء السماء . ويظن (نولدكه) أن هذه الحملة التي لا نعرف من أمرها شيئاً انما وقعت بعد وفاة الحارث ، وقد قصد (حجر) منها استرجاع ما خسره أبوه ، واعادة نفوذ كندة الى ما كان عليه^٤ .

لقد كانت نهاية (حجر) بأيدي (بني أسد) ، ويظهر انهم قبلوه ملكاً عليهم مكرهين . فلما حانت الفرصة قاموا عليه وقتلوه . حدث (ابن الكلبي) انه كان لحجر على بني أسد اتاوة في كل سنة مؤقتة . فلما كان بتهامة ، أرسل جايه الذي كان يجيبهم ، فنعوه ذلك ، وضربوا رسله وضرجوهم ضرباً شديداً قبيحاً ، فبلغ ذلك حجراً ، فسار اليهم بجند من ربيعة وجند من جند أخيه من

Pauly-Wissowa, Ogaros, Olinder, P. 51, Ency., II, P. 1019. ١

Olinder, P. 51, 74. ٢

Olinder, P. 75. ٣

Olinder, P. 76, Nöldeke, Fünf Mo'Allaqat, I, S. 80. ٤

قيس وكنانة ، فأتاهم وأخذ سرائهم ، فضربهم بالعصا وأباح الأموال وصيرهم الى تهامة ، وحبس سيدهم (عمرو بن مسعود بن كندة بن فزارة الأسدي) ، والشاعر (عبيد بن الأبرص) ، فأثر ذلك في نفوس « بني أسد وأضمرؤا له الانتقام »^١ . ثم إن حجراً وفد على أبيه الحارث في مرضه الذي مات فيه ، وأقام عنده حتى هلك ، ثم أقبل راجعاً الى بني أسد ، فلما دنا منهم ، وقد بلغهم موت أبيه ، طمعوا فيه ، فلما أظلمهم وضربت قبابه ، اجتمعت بنو أسد الى (نوفل بن ربيعة) ، فهجم على (حجر) ومن معه ، فانهزم جيشه وأسر (حجر) وتشاور القوم في قتله ، فقال لهم كاهنهم : لا تعجلوا بقتله حتى أجزر لكم ، فلما رأى ذلك (علباء) خشي أن يتواكلوا في قتله ، فحرّض غلاماً من بني كاهل على قتله ، وكان حجر قد قتل أباه ، فدخل الحيمة التي احتبس حجر بها فطعنه طعنة أصابت مقتلًا^٢ .

ويزعم أهل الأخبار ان (بني أسد) الذين عصوا حجراً عرفوا منذ ضربهم حجر بالعصا بـ (عبيد العصا) ، وقد أشير الى هذه التسمية في الشعر ، ويذكرون أيضاً ان (عبيد بن الأبرص) ، وقف أمام الملك حجر ، فقال شعراً يستعطفه فيه على قومه ، فرق لهم ورحمهم وعفا عنهم ، وأرسل من يردهم الى بلادهم ، فلما صاروا على مسيرة يوم من تهامة تكهن كاهنهم وهو (عوف بن ربيعة بن عامر الأسدي) ، بأنهم سيقتلون حجراً وسيستقمون منه ومن أهله ، فصدقوا بنبوءته وعادوا الى موضع حجر فوجدوه نائماً ، فذبحوه ، وشلدوا على هجائه فاستاقوها . وفي رواية أخرى ، انهم هجموا على عسكر حجر ودخلوا قبته ، فطعنه علباء بن الحرث الكاهلي ، فلما قتل ، استصلحت أسد كنانة وقيساً ، ونهبوا ما كان في عسكر حجر وسلبوه ، وأجار (عمرو بن مسعود) عيال حجر . وقيل أجارهم غيره ، وبذلك تخلصت بنو أسد من حكم كندة^٣ .

١ الاغانى (٦٣/٢) ، ابن خلدون (٢٧٤/٢ وما بعدها) ، ابن الاثير (٢١٠/١) ، الاغانى (٨١/٩) (طبعة دار الثقافة ، بيروت ١٩٥٧) ، ابن الاثير (٣٠٤/١) ، (الطباعة المنيرية ١٣٤٨ هـ) ، البداية والنهاية ، لابن كثير (٢١٨/٢) (القاهرة ١٩٣٢) .

٢ أيام العرب (١١٤ وما بعدها) .

٣ ابن قتيبة ، الشعر والشعراء (٥٠/١ وما بعدها) ، (دار الثقافة بيروت ، ١٩٦٤) ، الاغانى (٦/٨) (التقدم) ، البلدان (١٢٧/٤ وما بعدها) ، خزنة الادب (١٥٩/١ وما بعدها) .

وهناك روايات أخرى يرجع سندها الى (ابن الكلبي) والى غيره مثل (أبو عمرو الشيباني) و (الهيثم بن عدي) و (يعقوب بن السكيت) وغيرهم تختلف فيما بينها بعض الاختلاف في كيفية قتل (حجر) . وقد زعمت بعض الروايات بأن (علباء بن الحرث الكاهلي) هو الذي قتله ، طعنه ، فقضت طعنته هذه عليه ، وكان (حجر) قد قتل أباه . وزعمت رواية أخرى أن الذي قتله هو ابن أخت (علباء) ، وكان حجر قد قتل أباه ، ضربه بحديدة كانت معه سببت وفاته^١ .

وتذكر رواية أن (حجراً) لما علم انه ميت أوصى ودفع كتابه الى رجل أمره ان ينطلق الى اكبر أولاده (نافع) ، فإن بكى وجزع ، فليذهب الى غيره حتى يصل الى أصغرهم وهو امرؤ القيس ، فأبهم لم يجزع يدفع اليه الكتاب . فكان ذلك الولد امرؤ القيس^٢ .

ونجد في شعر (بشر بن أبي خازم الأسدي) فخراً واعتزازاً بقتل أسد لحجر والد امرئ القيس . وقد دعاه بـ (ابن ام قطام) في احدى قصائده ، وقال ان قومه علوه بالسيوف البيض الذكور . وأم قطام هي بنت سلمة بن مالك بن الحارث بن معاوية^٣ . ودعاه بـ (حجر) في قصيدة أخرى ، وافتخر بأن قومه ضربوا رأس حجر بأسيايف مهنددة رفاق^٤ . وذكر في قصيدة أخرى أن قومه ضربوا خيل حجر بجنب الردة . والردة موضع في ديار قيس ، والظاهر أنهم قتلوا حجراً بجنب الردة^٥ .

وأما (شرجيل) ، فقد ملكه ابوه علي (بكر بن وائل) و (حنظلة بن مالك) و (بني أسيد) و (الرباب) ، أي على عدد من قبائل ربيعة ومضر ، وكان نصيبه القسم الشرقي من مملكة كندة ما عدا البحرين^٦ . وليس بسين الذي

١ الكامل ، لابن الاثير (٣٠١/١ وما بعدها) ، الاغانى (٦٤/٨ وما بعدها) ، ابن خلدون (٢٧٦/٢) ، ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب (تحقيق عبد السلام هارون) (دار المعارف بمصر ١٩٦٢) ، (ص ٤٢٧) .

٢ أيام العرب (١١٥) .

٣ ديوان بشر بن أبي خازم ، تحقيق الدكتور عزة حسن (ص ٩١) .

٤ ديوان بشر (ص ١٦٦) .

٥ ديوان بشر (ص ٢٢) .

٦ Olinder, p. 82.

يروى الأخباريون عنه شيء ذو بال ، إلا ما ذكروه عن كيفية مقتله وتهايته ، وهذا ملخصه :

لما هلك الحارث بن عمرو تشتت امر اولاده ، وتفرقت كلمتهم ، ومشت الرجال بينهم ، وتفاقم أمرهم حتى جمع كل واحد منهم لصاحبه الجموع وزحف اليه بالجيوش . وقد بلغت العداوة أشدها بين (شرحبيل) وسلمة ، بسبب المنذر الذي عاد الى الحيرة وأخذ يشعل نار الفتنة بين الأخوين . فسار شرحبيل ب بكر ابن وائل ومن معه من قبائل حنظلة ومن أسيد بن عمرو بن تميم وطوائف من بني عمرو بن تميم والرباب ، فنزلت (الكلاب) ، وهو ماء بين الكوفة والبصرة على بضع عشرة ليلة من اليمامة ، وأقبل (سلمة) في بني تغلب وبهراء والنمر وأحلافها وسعد بن زيد مناة بن تميم ومن كان معهم من قبائل حنظلة وفي الصنائع يريدون الكلاب . وكان نصحاء شرحبيل وسلمة نهوهما عن الفساد والتحساد ، وحذروهما الحرب وعتراتها وسوء مغبتها ، فلم يقبلا ، ولم يتزحزا ، وأبيا إلاّ التتابع . فلما تلاقى الجمعان ، اقتتلا قتالاً شديداً ، ثم خذلت بنو حنظلة وعمرو ابن تميم والرباب بكر بن وائل ، وانصرفت وثبت بكر بن وائل ، وانصرفت بنو سعد وألفافها عن بني تغلب ، وصبرت تغلب ، وساء أمر شرحبيل ، فجاء اليه من عرف موضعه وقتله^١ .

ويذكر أهل الأخبار ان العداوة كانت شديدة بين الأخوين ، حتى ان كل واحد منها وضع جائزة لمن يأتي برأس أخيه ، فذهب (أبو حنش) وهو عصم ابن النعمان بن مالك (عصم بن مالك الجشمي) ، فطعن (شرحبيل) ، واحتز رأسه وجاء به الى أخيه ، فطرحه أمامه . ويقال إن شرحبيل لما رأى (أبا حنش) يريد توجيه طعنة اليه قال له : يا أبا حنش اللبن اللبن ، فقال أبو حنش : قد هرقت لنا لبناً كثيراً . فقال : يا أبا حنش أملك بسوقه^٢ . وذلك ان دم الملوك

١ المفضليات (ص ٤٢٨ وما بعدها ، ١٠٧٢ وما بعدها) ، النويري ، نهاية الارب (٤٠٦/١٥ وما بعدها) ، الكامل ، لابن الاثير (٢٢٧/١) ، العقد الفريد (٧٨/٦) ، البلدان (٣/٢٦٩ وما بعدها) ، نقائض جرير والفرزدق (٤٥٢/١) (ليدن ١٩٠٧) ، (تحقيق بيفان) ، الكامل لابن الاثير (٢٣١/١) (الطباعة المنيرية) ، البكري : معجم (١١٣٢/٤) ، اليعقوبي (١٨٣/١ وما بعدها) ، العقد الفريد (٢٢٢/٥) (لجنة) ، نقائض (١٠٧٣/٢) ، الكامل لابن الاثير (٣٧٩/١) .

٢ نقائض جرير والفرزدق (٤٥٢/١) (بيفان) ، أيام العرب (٤٧) .

فوق دم العامة ، وهم السوق . وان الملك لا يقتل بسبب قتله رجلاً من سواء الناس .

ويظن ان (يوم الكلاب) كان قد وقع سنة (٦١٢) للميلاد^١ .

ويقول الرواة ان (بني تغلب) أخرجت (سلمة) ، فلجأ الى (بني بكر ابن وائل) ، فانضم اليهم ، ولحقت تغلب بالمنذر بن امرئ القيس . وتذكر رواية من الروايات التي يقصها أهل الأخبار عن كيفية نهاية ملوك كندة . ان الأمر لما اشتد على أولاد الحارث ، جمع (سلمة) جموع اليمن ، فسار ليقتل نزاراً . وبلغ ذلك نزاراً ، فاجتمع منهم (بنو عامر بن صعصعة) وبنو وائل : تغلب وبكر ، وقيل : بلغ ذلك كليب وائل ، فجمع ربيعة ، وقدم على مقدمته السفاح التغلبي وأمره أن يعلو (خزاز)^٢ فيوقد عليه ناراً ليهتدي الجيش بها ، وقال له : إن غشيك العدو فأوقد نارين . وبلغ سلمة اجتماع ربيعة ومسيرها فأقبل ومعه قبائل مذحج ، وهجمت مذحج على خزاز ليلاً ، فرفع السفاح نارين ، فأقبل كليب في جموع ربيعة اليهم ، فالتقوا بخزاز ، فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهمزمت جموع اليمن . وفي رواية (أبي زياد الكلابي) ، ان الذي أوقد النار على خزاز (خزاز) هو الأحوص بن جعفر بن كلاب ، وكان على روايته هذه رئيساً على نزار كلها . ويذكر الكلابي ان أهل العلم من الذين أدركهم ذكروا له انه كان على نزار (الأحوص بن جعفر) . ثم ذكرت ربيعة أخيراً من الدهر ان (كليباً) كان على نزار^٣ . أما (محمد بن حبيب) ، فيروي ان (كليب وائل) هو الذي قاد جموع (ربيعة) و (مضر) و (قضاة) في يوم خزاز الى اليمن^٤ .

وقال بعض الأخباريين : كان كليب على ربيعة ، والأحوص على مضر^٥ .

Naval, P. 233.

- ١
- ٢ ويعرف أيضاً بيوم خزاز ، ويوم خزازي ، البلدان (٤٣٠/٣) النقائض (ص ٨٨٧) ، البكري : معجم (١٠٦ ، ٣٠٣ ، ٥٦٣) ، ابن الاثير (٣١٠/١) ، العقد الفريد (٩٧/٦) (العريان) ، نهاية الارب (٤٢٠/١٥) وما بعدها (، طبعة دار الكتب) .
- ٣ البلدان (٤٣٠/٣) .
- ٤ المحبسر (ص ٢٤٩) .
- ٥ البلدان (٤٣٠/٣) .

ويعود سبب هذا الاختلاف في روايات الرواة الى النزعات القبلية التي كان يحملها الرواة . ف (أبو زياد الكلابي) يتعصب كما نرى لـ (بني كلاب) ، فيرجع الرئاسة اليهم ، لأنه منهم ، وهذا مما يأباه رواة ربيعة وينكرونه عليه اذ يرون ان الرئاسة فيهم . وتوسط رواة بين رواة ربيعة ورواة مضر حسماً للنزاع على ما يظهر ، فقالوا بالرئاستين : رئاسة كليب على ربيعة ، ورئاسة الأحوص على مضر وبذلك أصلحوا ذات البين .

وقد ذكر (أبو زياد الكلابي) أن يوم (خزاز) أعظم يوم التقت فيه العرب في الجاهلية وانه اول يوم استنصفت فيه نزار من اليمن ، وأنها لم تزال منذ هذا اليوم ممتنة قاهرة لليمن في كل يوم يلتقونه حتى جاء الاسلام^١ .

وذكر (الأصمعي) أن يوم خزاز كان المنذر بن ماء السماء ولبنى تغلب وقضاعة على (بني آكل المرار) من كندة وعلى بكر بن وائل ، وان المنذر وأصحابه من بني تغلب أسروا في هذا اليوم خمسين رجلاً من بني آكل المرار . ويفهم من شعر لـ (عمرو بن كلثوم) قيل إنه قاله متذكراً هذا اليوم ، أن رهطه وهم من بني تغلب آبوا بالتهاب وبالسبايا وبالملوك مصفدين . ولم يشر الشاعر الى هوية هؤلاء الملوك المأسورين ، ولكن (الأصمعي) يقول : إنه قصد بقوله : « وأبنا بالملوك مصفدينا » (بني آكل المرار)^٢ .

فيظهر من الرواية المتقدمة ان يوم خزاز ، كان بين سلمة ومن جاء معه من اليمن وبين تغلب ومن انضم اليها من قبائل ربيعة ومضر . ويظهر من رواية الأصمعي ان ذلك اليوم كان بين المنذر بن ماء السماء وتغلب وقضاعة من جهة وبين (بني آكل المرار) ، وبكر بن وائل من جهة أخرى . وهناك روايات أخرى تذكر ان هذا اليوم ، انما كان قد وقع بين ملك من ملوك اليمن وبين قبائل معدة ، ولا علاقة له بسلمة وبين آكل المرار أو المنذر بن ماء السماء في هذا اليوم ، الذي أدى الى انتصار بني معدة على اولاد قحطان^٣ .

١ البلدان (٣/٤٣٠ وما بعدها) .

٢ النقائض (ص ٨٨٧) ، من بيت لعمر بن كلثوم :

وآبوا بالتهاب وبالسبايا وأبنا بالملوك مصفدينا

٣ ابن الاثير (١/٣١٠) ، العقد الفريد (٣/٣٦٤) ، نقائض جرير والفرزدق

(١٩٣/٢) ، البكري ، معجم (٢/٤٩٦) .

ويذكر بعض أهل الأخبار أنه : « لولا عمرو بن كلثوم ما عرف يوم خزاز » .
 وأم عمرو بن كلثوم ، هي ابنة (كليب بن ربيعة) ، المعروف بـ (كليب
 وائل)^١ . فذكره في شعره لذلك اليوم ساعد ولا شك في ابقاء اسمه في ذاكرة
 الناس ، حتى دون خبره في الاسلام .

وليوم (أواره) الأول علاقة وصلة بـ (سلمة بن الحارث) وبـ (المنذر
 ابن ماء السماء) على ما يرويه بعض أهل الأخبار . فهم يذكرون ان تغلب لما
 أخرجت (سلمة) عنها ، التجأ الى (بكر بن وائل) ، فلما صار عند بكر
 ابن وائل أذعنت له ، وحشدت عليه ، وقالت : لا يملكنا غيرك . فبعث اليهم
 المنذر يدعوهم الى طاعته ، فأبوا ذلك ، فحلف المنذر ليسرن اليهم ، فان ظفر
 بهم فليذبحنهم على قلة جبل أواره . وسار اليهم في جموعه ، فالتقوا بأواره ،
 فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وأجلت الواقعة عن هزيمة بكر وأسر (يزيد بن شرحبيل
 الكندي) ، فأمر المنذر بقتله وبقتل عدد كبير من بكر^٢ .

وأما (شراحيل بن الحارث) ، فقد قتله (بنو جعدة بن كعب بن ربيعة
 ابن صعصعة)^٣ .

ويحدثنا (يعقوب بن السكيت) انه كان لحجر والد امرئ القيس جملة أولاد
 أكبرهم (نافع) وأصغرهم (امرؤ القيس) ، وبين الأكبر والأصغر جملة
 أولاد ، غير انه لم يذكر أسماءهم^٤ . وقد ورد اسم (نافع) في بيت شعر
 لامرئ القيس^٥ .

وذكر (ياقوت) ولداً لـ (سلمة بن الحارث) سماه (قيساً) قال : انه
 أغار على (ذي القرنين المنذر بن النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن عدي)
 فهزمه ، حتى أدخله الخورنق ومعه ابنه قابوس وعمرو . فكث ذو القرنين حولاً ،
 ثم أغار عليهم بـ (ذات الشقوق) ، فأصاب منهم اثني عشر شاباً من بني حجر
 ابن عمرو وكانوا يتصيدون ، وأفلت منهم امرؤ القيس على فرس شقراء ، فطلبه

-
- | | |
|---|-------------------------------------|
| ١ | البكري ، معجم (٤٩٦/٢) . |
| ٢ | ابن الأثف (٢٢٨/١) . |
| ٣ | البلدان (٤٣٨/٣) وما بعدها . |
| ٤ | الآغانسي (٦٥/٨) . |
| ٥ | الآغانسي (٦٥/٨) . Olinder, P. 94. |

القوم فلم يقدروا عليه . وقدم المنذر الحيرة بالفتية فحبسهم بالقصر الأبيض شهرين ثم أمر بضرب أعناقهم فضربت عند (الجفر) ، فعرف منذ ذلك الحين بـ (جفر الأملاك) ، وهو موضع (دير بني مرينا) . وقد أشير الى مقتلهم في شعر لامرئ القيس^١ .

كندة تلحق بحضرموت:

وقد ذكر الرواة ان ملك كندة لما انخرق، وهلك من هلك منهم ، قام « عمرو أقحل بن ابي كرب بن قيس بن سلمة بن الحارث ، الملك ، فقال : يا معشر كندة . إنكم قد أصبحتم بغير دار مقام . وقد ذهب أشرافكم وانخرق ملككم ، ولا آمن العرب عليكم ، فالحقوا بحضرموت »^٢ .

ويذكر الرواة ان الملك خرج من (بني آكل المرار) وساد بنو الحارث بن معاوية فأول من ساد منهم (قيس بن معديكرب) ، ثم ابنه الأشعث بن قيس ، وهو الذي اتى النبي في ستين او سبعين راكباً من اشراف كندة فأسلموا . أسلم الأشعث ، وكانت كندة قد توجهت عليها^٣ .

ويذكر (حمزة) ، ان المنذر بن ماء السماء تتبع غابرههم ، فقتل عامتهم ، وصارت رئاسة كندة في (بني جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية الأكرمين) ، ثم في (معديكرب بن جبلة) ، ثم في (قيس بن معديكرب) ، وعلى عهده قام الاسلام بمكة ، ثم في (الأشعث بن قيس)^٤ .

وقد ذكر (ابن حبيب) ، (الأشعث بن قيس بن معديكرب) في جملة الجرّارين من اليمن^٥ . والجرّارون من كان يرأس ألفاً^٦ ولا يعد الرجل جرّاراً

١ البلدان (١٢٧/٤ وما بعدها) ، (٦٤٨/٢) (طبعة وستنفلد) ، التاج (٣٥٣/٩) .

٢ المحبر (ص ٣٧٠) .

٣ الطبري (١٣٩/٣) ، الفضليات (ص ٤٤١) ، حمزة (ص ٩٣) ،

٤ حمزة (ص ٩٣) .

٥ المحبر (ص ٢٥١) .

٦ المحبر (ص ٢٤٦) .

حتى يقود ألفاً^١ . وذكره في باب (أعرق العرب في الغدر) . فقال عنه إنه غدر ب (بني الحارث بن كعب) . وكان بينهم عهد وصلاح ، فعزاهم فأسروه ، ففدى نفسه بمائتي قلوص ، فأدى مائة ، ولم يؤد البقية حتى جاء الاسلام ، فهلم ما كان في الجاهلية . وغدر الأشعث أيضاً فارتد عن الاسلام .

وقال عن والده (قيس بن معديكرب بن معاوية بن جبلة الكندي) ، انه كان من « أعرق العرب في الغدر » كذلك ، وكان بينه وبين مراد ولث^٢ الى أجل ، فعزاهم في آخر يوم الأجل غادراً . « وكان ذلك اليوم يوم الجمعة . فقالوا له : انه قد بقي من الأجل اليوم . وكان يهودياً . فقال : انه لا يحمل لي القتال غداً . فقاتلهم ، فقتلوه وهزموا جيشه . وكان معديكرب عقد للمهرة صلحاً ، فعزاهم غادراً بالعهد . فقتلوه وشقوا بطنه ، فلأوه حصي^٣ » .

وقد لقب (قيس) بالأشج ، لأثر شج في وجهه ، وعرف بالأعشى كذلك وقيل له : (بطريق اليمن) . وذكر بعض الرواة ان كلمة (بطريق) تعني الخاذق في الحرب وأمورها^٤ .

وفي حق (قيس) هذا قال (الحارث بن حلزة الشكري) في جملة ما قاله في قصيدته مفتخراً بقومه :

حول قيس مستلثمين بكبش قرظي كأنه عبلاء

وقد قال الشراح ان قيساً جاء على رأس جيش لجب ومعه راياته متحصن بسيد من بلاد القرظ ، وبلاد القرظ اليمن ، كأنه في منعته وشوكته هضبة من الهضاب ، قد لبسوا الدروع ، فردتهم (يشكر) قوم الشاعر ، وقتلوا منهم^٤ .

ويذكر أهل الأخبار ان الشاعر الأعشى كان ممن يفد على (قيس بن معديكرب)

١ المحبر (ص ٢٥٣) .

٢ المحبر (ص ٢٤٤ وما بعدها) .

٣ قيس أبو الأشعث بطريق اليمن لا يسأل السائل عنه ابن من اللسان (٢١/١٠) (طبعة بيروت) الاغاني (٧٨/٨) ، البيان والتبيين (١٨/١) ، الاغاني (١٢٦/١١) ، الامالي للقالبي (٩٢/١) .

٤ المعلقات السبع ، للزوزني (ص ١٦٤) (طبعة صادر ، بيروت) ابن قتيبة ، كتاب المعاني الكبير (ص ٩٤٣) .

من الشعراء . وقد روي له شعراً قاله لقيس^١ . في جملة قوله :

وجلنداء في عمان مقيماً ثم قيساً في حضرموت المنيف^٢

وقد ذكر (ابن حبيب) ان (خالد بن جعفر بن كلاب) ، أسر (قيس ابن سلمة الكندي) يوم الحرمان^٣ .

وذكر أهل الأخبار ان ملوك كندة جعلوا رداقتهم في (بني سدوس)^٤ . وجاء ان (الأشعث بن قيس) ، كان قد غلب على أهل نجران وملك رقابهم وجعلهم (عبيداً لمملكة) . وذكر انه خاصمهم عند (عمر) في ايام خلافته ، فاحتجوا عليه ان ذلك كان في الجاهلية ، فلما أسلموا سقطت تلك العبودية عنهم^٥ .

امرؤ القيس الشاعر :

ويذكر الأخباريون ان (حجرأ) لم يكن راضياً عن ابنه (امرؤ القيس) فطرده من عنده وآلى الا يقيم معه أنفة من قوله الشعر ، وكانت الملوك تأنف من ذلك . فكان يسير في احياء العرب ومعه اخلاط من شذاذ العرب من طيء وكلب وبكر بن وائل . فإذا صادف غديراً او روضة او موضع صيد ، اقام فذبح لمن معه في كل يوم ، وخرج الى الصيد فتصيد ، ثم عاد فأكل واكلوا معه وشرب الخمر وسقاهاهم وغنته قيسانه ، ولا يزال كذلك حتى ينفد ماء ذلك الغدير ، ثم ينتقل عنه الى غيره . فأناه خبر ابيه ومقتله وهو بـ (دمنون) من ارض اليمن ، أناه به رجل من بني عجل يقال له عامر الأعور أخو الوصاف . فلما أناه بذلك ، قال :

تطاول الليل عليّ دمنون دمنون ، إنا معشر يمانون
وانسا لأهلها محبتون

- ١ الاغانى (٧٨/٢) ، الامالى (٩٢/١) ، الجمحي ، طبقات الشعراء (ص ١٢٣) .
- ٢ ديوان الاعشى (القصيدة ٦٣ ، البيت ١٥) .
- ٣ المحبر (ص ٢٥٢) .
- ٤ الاشتقاق (ص ٢١١) .
- ٥ اللسان (٤٩٣/١٠) .

ثم قال : ضيعني صغيراً وحلني دمه كبيراً ، لا صحو اليوم ، ولا سكر غداً ، اليوم خمر ، وغداً أمر . فذهبت مثلاً ثم قال :

خليلي ، لا في اليوم مصحى لشارب ولا في غد إذ ذاك ما كان يشرب
ثم شرب سبعا فلما صبحا آلى ألا يأكل لحماً ولا يشرب خراً ولا يدهن بدهن
ولا يصيب امرأة ولا يغسل رأسه من جنبه حتى يدرك بثأره^١ .
وفي رواية أخرى انه طرد لما صنع في الشعر بفاطمة ما صنع ، وكان لها عاشقاً ،
فطلبها زماناً ، فلم يصل إليها ، وكان يطلب غرة حتى كان منها يوم الغدير بدارة
جلجل ما كان ، فقال قصيدته المشهورة : (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل) .
فلما بلغ ذلك والده غضب عليه ، وأوصى بقتله ثم طرده^٢ . وهناك من يزعم انه
انما طرد ، لأنه تغزل بامرأة من نساء ابيه^٣ .

هذا وصف موجز لأصغر أبناء (حجر) : (امرئ القيس بن حجر الكندي)
الشاعر الشهير و (الملك الضليل) و (ذي القروح)^٤ .
وللرواة أقوال في اسم (امرئ القيس) ، فقد سماه بعضهم (خندجاً) ،
ودعاه آخرون (عدياً) ، ودعاه قوم (مليكاً) ، ودعاه نفر (سليمان) وهو
معروف عندهم بالاجماع بـ (امرئ القيس) ، وهو لقبه^٥ . ويكنى بأبي وهب
وأبي زيد وأبي الحارث وذي القروح^٦ .
ولا نعرف سنة ولادة هذا الأمير الشاعر . ويظن (أوليندر) انه ولد حوالي

- ١ الاغاني (٦٥/٨) ، ابن قتيبة ، الشعر والشعراء (٥٠/١ وما بعدها) (دار الثقافة بيروت ١٩٦٤) خزائن الادب (١٥٩/١ وما بعدها) ، شرح القصائد العشر ، للتبريزي (ص ٦ وما بعدها) ، معجم الشعراء ، للمرزباني (ص ٩) ، المحبر (ص ٣٥٢) ، نزهة الجليس (١٤٨/٢ وما بعدها) .
- ٢ الشعر والشعراء (ص ٣١) (طبعة مصطفى السقا) ، القاهرة ١٩٣٢ ، (٣٢) .
- ٣ Olinder, P. 96.
- ٤ الاغاني (٦١/٨) ، الشعر والشعراء (ص ٣١) ، الخزائن ، للبغدادي (٤٣٢/٣) ، سرج العيون ، لابن نباتة (١٨١) ، العمدة ، لابن رشيقي (٤١/١ ، ٤٢ ، ٩٧) ، تقريب الاغاني ، لابن واصل (ص ١٠٠١) .
- ٥ الزهر (٢١٤/٣) ، الآمدي : المؤلف والمختلف (ص ٩) ، جمهرة أشعار العرب (ص ٤٩) ، (القاهرة ١٩٢٦) ، طبقات فحول الشعراء : (دار المعارف) شرح المعلقات السبع ، للزوزني (ص ١ وما بعدها) ، المحبر (ص ٢٣٣ ، ٣٤٩) الاشتقاق (٢٢٢/٢) ، القاموس المحيط (٥٤٦/١) ، (السندوبي (ص ٦ وما بعدها) .
- ٦ Olinder, P. 95.

سنة (٥٠٠) للميلاد^١. أما أمه فهي (فاطمة) بنت ربيعة بن الحارث بن زهير، أخت (كليب) و (مهلهل) التغلبيين^٢. وورد في بيت شعر ينسب الى هذا الشاعر : (امرئ القيس بن تملك)^٣. وقد استنتج بعض العلماء منه ان أمه هي (تملك) ورجعوا نسبها الى (عمرو بن زبيد بن مذحج رهط عمرو بن معديكرب)، ويرى بعض المستشرقين انه أدخل في ديوان هذا الشاعر ، وانه يعود الى شاعر آخر اسمه (امرئ القيس) ، وقد عد (آلوارت) (Ahlwardt) ، ستة عشر شاعراً أسماؤهم (امرؤ القيس)^٤. ويلاحظ أن من زعم من الرواة ان أم امرئ القيس هي (تملك) جعل نسبه (امرأ القيس بن السمط بن امرئ القيس بن عمرو بن معاوية بن ثور) ، وهو (كندة) ، وهم يخالفون بذلك سلسلة النسب المألوفة عند غالبية الرواة .

وذكر انه ولد ببلاد بني أسد ، وانه كان ينزل بالمشقر وهو موضع ذكر في شعره^٥. وروى (ابن قتيبة) ان (امرأ القيس) من أهل نجد ، وأن الديار التي وصفها في شعره كلها ديار بني أسد^٦. وقد تنقل هذا الشاعر في مواضع متعددة من الجزيرة ، ووصل الى القسطنطينية عاصمة الروم .

وكان امرؤ القيس بـ (دمّون) حينما جاء اليه نبأ مقتل والده على رواية^٧. ودمّون من قرى حضرموت للصدف في رواية^٨. وفي رواية أخرى مرجعها (الهيثم ابن عدي) ان امرأ القيس لما قتل أبوه كان غلاماً قد ترعرع ، وكان في بني

Olinder, P. 95.

١ ابن الاثير (٢١١/١) ، الاغانى (٦٠/٨) ، Ency., II, P. 477 ،

٢ ألا هلّ أتاها والحوادث جمّة بأن امرأ القيس بن تملك يبقرا

٣ ديوان امرئ القيس (٢٠ : ٣٧) ، الاغانى (٦١/٨) ، Olinder, P. 95.

٤ Ahlwardt, Bemerkungen über die echtheit der alten Arabischen Gedichte,

S. 73.

راجع أخبار المراقسة وأشعارهم في الجاهلية وصدر الاسلام : تأليف حسن السندوبي ، القاهرة ٦٩٣٩ ، وقد جمع فيه أشعار من كان شاعرا ويسمى بـ (امرئ القيس) .

٥ الاغانى (٦١/٨) ، البلدان (٦٥/٨) ، معجم ما استعجم (٥٦١) .

٦ الشعر والشعراء (ص ٣١) (طبعة السقا) ، القاهرة ١٩٣٢ ،

Olinder, P. 95.

Maritm, Arabien, S. 53.

٧ الاغانى (٩٥/٨) .

٨ الصفة (٨٥) ، البكري ، معجم (٣٤٨/١) ، (وساكن دمّون هو الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار) ، البلدان (٨٥/٤) .

حنظلة مقيماً ، لأن ظئره كانت امرأة منهم ، وقد روت شعراً زعمت أنه قاله حينما بلغه النبأ ، وهو :

أتاني وأصحابي على رأس صيلع حديث أطار النوم عني فأنما
فقلت لعجلي بعيد مآبته ابن لي وبين لي الحديث المجمع
فقال : أبيت اللعن عمرو وكاهل أباحا حمى حجر فأصبح مسلماً^١

ويفهم من هذا أن شاعرنا كان في صيلع حينما أبلغ خبر وفاة والده ، أناه به رجل اسمه (عجل) ويعرف بعامر الأعور^٢ .

أما صيلع ، فوضع من شق اليمن ، كثير الوحش والظباء . ورد اسمه في خبر مجيء وفد همدان الى الرسول^٣ . وقد صرح (ياقوت الحموي) أن به ورد الخبر على امرئ القيس بمقتل أبيه حجر^٤ .

وهناك خبر يفيد أنه نزل في (بني دارم) وبقي عندهم حتى قتل عمه (شرحبيل) ، وفي رواية تنسب الى (الهيثم بن عدي) أنه كان مع والده (حجر) حين هاجمته بنو أسد ، وانه هرب على فرس له وتمكن من النجاة^٥ . ويقول (ابن الكلبي) و (يعقوب بن السكيت) أن امرأ القيس ارتحل بعد أن بلغه نبأ مقتل والده حتى نزل بكرة وتغلب ، فسألهم النصر على بني أسد ، فبعث العيون على بني أسد ، فنذروا بالعيون ولجأوا الى بني كنانة ، ثم أدركوا ان امرأ القيس يتعقبهم ، ونصحهم (علياء بن الحارث) بالرحيل ليل ، وألا يعلموا بني كنانة ، ففعلوا وتركوا (بني كنانة) وارتحلوا عنهم ليلاً دون أن يشعروا . فلما وصل امرؤ القيس الى بني كنانة ظاناً بني أسد بينهم ، نادى : يا لثارات الملك . يا لثارات الملك . فأخبروه انهم قد تركوهم وارتحلوا عنهم . فتعقبهم مع بكر وتغلب حتى لحق بهم ، فقاتلهم ، فكثرت فيهم الجرحى والقتلى حتى جاء الليل فحجز بينهم ، وهربت بنو أسد فلما أصبحت بكر وتغلب ، أبوا أن يتبعوهم وقالوا له : قد أصبت ثأرك . قال : والله ، ما فعلت ولا أصبت من بني كاهل

- ١ (أباحوا حمى حجر فأصبح مسلماً) ، السندوبي (١٨١) ، الاغانى (٦٦/٨) .
- ٢ الاغانى (٦٥/٨) .
- ٣ البكري ، معجم (٦١٤/٢) .
- ٤ البلدان (٤٠٦/٥) .
- ٥ Olinder, P. 96.

ولا من غيرهم من بني أسد أحداً . قالوا : بلى ، ولكنك رجل مشؤوم ،
وكرهوا قتالهم بني كنانة ، وانصرفوا عنه ، ومضى هارباً لوجهه حتى لحق بحمير^١ .
ولما أقبل امرؤ القيس من الحرب على فرسه الشقراء ، لجأ ابن عمته (عمرو
ابن المنذر) وأمه (هند بنت عمرو بن حجر آكل المرار) ، وذلك بعد قتل
أبيه وأعمامه ، وتفرق ملك أهل بيته ، وكان عمرو يومئذ خليفة لأبيه المنذر
بـ (بقة) ، فدحه وذكر صهره ورحمه ، وانه قد تعلق بحباله ، ولجأ إليه فأرجاه
ومكث عنده زماناً . ثم بلغ المنذر مكانه عنده ، وأنذره عمرو ، فهرب حتى
أتى حمير^٢ .

وفي رواية يرجعها الرواة الى (ابن الكلبي) و (الهيثم بن عدي) و (عمر
ابن شبة) و (ابن قتيبة) : ان (امرؤ القيس) خرج فوراً بعد امتناع بكر
ابن وائل وتغلب من أتباع بني أسد الى اليمن ، فاستنصر أزد شنوءة ، فأبوا أن
ينصروه وقالوا : اخواننا وجيراننا ، فنزل بقبيل يدعى (مرثد الخير بن ذي جدن
الحميري) ، وكانت بينهما قرابة ، فاستنصره واستمده على بني أسد ، فأمدّه
بخمسمئة رجل من حمير ، ومات مرثد قبل رحيل امرؤ القيس بهم ، وقام بالملكة
بعده رجل من حمير يقال له : قرمل بن الحميم ، وكانت أمه سوداء ، فردد
امرؤ القيس ، وطول عليه حتى همّ بالانصراف ... فأنفذ له ذلك الجيش ،
وتبعه شذاذ من العرب ، واستأجر من قبائل العرب رجلاً ، فسار بهم الى بني
أسد ، ومرّ بـ (تبالة) ، وبها صنم للعرب تعظمه يقال له (ذو الخلصة) ،
فاستقسم عنده بقداحه ، وهي ثلاثة : الأمر والنهي والمتربص ، فأجأها فخرج
النهي ، ثم أجأها فخرج النأي ، ثم أجأها فخرج النأي ، فجمعها وكسرها
وضرب بها وجه الصنم ، وقال : مصصت بظر أمك لو أبوك قتل ما عقتني ،
ثم خرج فظفر بـ (بني أسد)^٣ .

فلما ظفر بهم ، فقال هذه الأبيات :

قولاً للدودان عيبس العصا ما غرّكم بالأسد الباسل ؟
قد قرت العينان من مالك ومن بني عمرو ومن كاهل

١ الاغاني (٦٧/٨) ، ابن الاثير ، الكامل (٣٠٦/١ وما بعدها) .

٢ الاغاني (٦٧/٨) .

٣ الاغاني (٦٧/٨ وما بعدها) ، البداية والنهاية ، لابن كثير (٢١٩/٢) .

ومن بني غم بن دودان إذ نقذف أعلاهم على السافل

* * *

حلت لي الخمر وكنت امراً عن شربها في شغل شاغل
فالיום أشرب غير مستحقب إثمًا من الله ولا واغل

وهي أبيات يفهم منها انه أوقع في (بني دودان) و (بني مالك) و (بني عمرو) و (بني كاهل) و (بني غم بن دودان) ، وهي بطون من بني أسد، هي التي قتلت أباه حجراً ، قالها بعد أن أنجده (قرمل بن الحميم الحميري) وانه ألبسهم الدروع المحاة ، وكحلهم بالنار ، فبرّ يمينه ، وحل له شرب الخمر .

وبنو دودان ، هم بنو ثعلبة بن دودان بن أسد ، والى ثعلبة هذا تنسب الثعلبية التي بين الكوفة ومكة . وهم جملة بطون ذكرها أهل الأنساب^٢ .
والى (قرمل) أشار (امرؤ القيس) في شعره :

وكنّا أناساً قبل غزوة قرمل ورثنا الغنى والمجد أكبر أكبرا

وهو من (السحول) من (ذي الكلاع)^٣ .

وفي رواية تنسب الى (الخليل بن أحمد الفراهيدي) أن رجلاً من قبائل (بني أسد) فيهم (قبيصة بن نعيم) وكان في بني أسد مقيماً ، قدموا على امرئ القيس بعد مقتل أبيه ، ليعتدروا اليه وليسوا قضية قتل والده ، فرفض إلا الانتقام من (بني أسد) قائلاً : « لقد علمت العرب أن لا كفء لحجر في دم ، واني لن أغتاض به جملًا أو ناقة ، فاكتسب بذلك سبة الأبد وفث العضد . وأما النظرة ، فقد أوجبتها الأجنة في بطون أمهاتها ، ولن أكون لعطبا سبياً وستعرفون طلائع كندة من بعد ذلك تحمل القلوب حنقاً وفوق الأسنة علقاً^٤ . وتذكر الرواية أنه خرج اليهم بعد ابطاء دام ثلاثة أيام ، وهو في قباء وخف وعمامة سوداء ، وكانت العرب لا تعتم بالسواد إلا بالثارات ، فلما نظروا اليه ، وبلر اليه قبيصة ، يتكلم باسمهم معتذراً ، طالباً الصفح عنهم ، ودفع الدية عن

١ السندوبي (ص ١٥١) ، الشعر والشعراء (٤٣ وما بعدها) . Olinder, P. 102.

٢ جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم (ص ١٨٢) .

٣ الاشتقاق (ص ٣٠٧ ، ٣٠٩) .

٤ الاغانى (٧٢/٨ وما بعدها) .

حجر ، أخبرهم ، أن دم حجر لا يعتاض بجمل أو ناقة ، وأنه لا بد من أخذه بالثأر ، ثم أمهلهم حتى يجمع طلائع كندة ، فيهجم عليهم^١ .
وهناك رواية أخرى تنسب الى (أبي عبيدة) في هذا المعنى المتقدم مآلها أن (بني اسد) اجتمعت « بعد قتلهم حجر بن عمرو الى ابنه امرئ القيس على أن يعطوه ألف بعير دية ابيه ، او يقيدوه من أي رجل شاء من بني أسد، أو يمهلهم حولاً » . فقال : أما الدية ، فما ظننت أنكم تعوضونها على مثلي . وأما القود ، فلو قيد إلي ألف من بني اسد ما رضيتهم ولا رأيتهم كفؤاً لحجر . وأما النظرة فلکم ، ثم ستعرفوني في فرسان قحطان أحكم فيكم ظبا السيوف وشبا الأسنة حتى اشفي نفسي وأنال ثأري^٢ .

ولم تشر رواية (الخليل) و (أبي عبيدة) الى ما فعله (امرؤ القيس) بعد ذلك في (بني اسد) ، ولكننا إذا ما اردنا ربط هذه الروايات بعضها ببعض وبحسب التسلسل الطبيعي المنطقي ، نستطيع ان نجعلها مقدمة لرواية (ابن الكلبي) و (ابن السكيت) و (خالد الكلابي) وملحقها ، وهي رواية (محمد بن سلام) عن نزول (امرئ القيس) ب (بكر) و (تغلب) ، وطلبه النجدة منهم والنصرة على بني اسد ، واقتصاصه منهم بعد تركهم لـ (بني كنانة) كما ذكرت ذلك سابقاً . وان نربطها كذلك برواية (ابن الكلبي) (والهيم بن عدي) و (عمرو بن شبة) وابن (قتيبة) الملحق بهذه الرواية ، والرواية القائلة بذهاب (امرئ القيس) الى اليمن واستنصاره بـ (أزد شنونة) و (مرثد الخير بن ذي جلدن الحميري) بعد ان امتنعت بكر بن وائل وتغلب عن ملاحقة بني اسد . وقد أشار (ابن قتيبة) اشارة مختصرة الى هجوم (امرئ القيس) على بني أسد حينما كانوا في (بني كنانة) ، وذكر انه اوقع بـ (بني كنانة) ، ونجت (بنو كاهل) من بني اسد ، فقال :

يا هف نفسي اذ خطئن كاهلا القاتلين الملك الحلاحلا
تالله لا يذهب شيخي بأطلا^٣

- ١ الاغاني (٧٢/٨ وما بعدها) .
- ٢ الاغاني (٨٥/١٩) .
- ٣ الشعر والشعراء (٥٠/١ وما بعدها) ، البداية والنهاية (٢١٨/٢) ، شرح القصائد السبع الطوال ، للأنباري (ص ٤ وما بعدها) (دار المعارف ١٩٦٣) ديوان امرئ القيس (ص ٣٤) (دار المعارف) (تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم) ، الحيوان ، للجاحظ (٥٧٨/٥) .

وأما (اليعقوبي) فذكر ان (امرأ القيس) حين بلغه مقتل أبيه جمع جمعاً وقصد (بني أسد) ، فلما كان في الليلة التي أراد أن يغير عليهم في صبيحتها ، نزل بجمعه ذلك ، فدعر القطا ، فطار عن مجاثمه فرّ بني أسد ، فقالت بنت (علباء بن الحارث) أحد (بني ثعلبة) ، وكان القائم بأمر بني أسد : ما رأيت كالليلة قطاً أكثر . فقال علباء : « لو ترك القطا لغفا ونام » فأرسلها مثلاً . وعرف ان جيشاً قد قرب منه ، فارتحل ، وأصبح امرؤ القيس فأوقع بكثافته ، فأصاب فيهم ، وجعل يقول : يالثرأت حجر ! فقالوا : والله ما نحن الا كثانة . فتركهم وهو يقول :

ألا ياللف نفسي بعد قوم هم كانوا الشفاء فلم يصابوا
وقاهم جدّهم ببني أبيهم وبالأشقين ما كان العقاب
وأفلتتهن علباء جريضا ولو أدركته صفر الوطاب^١

ولم يشر اليعقوبي الى محاولة (امرؤ القيس) تعقيب (بني أسد) وامتناع من كان معه عن الذهاب معه كما رأينا ذلك في الرواية السابقة بل قال : « ومضى امرؤ القيس الى اليمن لما لم يكن به قوة على بني أسد ومن معهم من قيس ، فأقام زماناً ، وكان يدمن مع ندامى له ، فأشرف يوماً ، فاذا براكب مقبل ، فسأله : من أين أقبلت ؟ قال : من نجد ، فسقاه مما كان يشرب ، فلما أخذت منه الخمرة ، رفع عقيرته وقال :

سقيننا امرأ القيس بن حجر بن حارث كؤوس الشجا حتى تعود بالقهر
وألهاه شرب ناعم وقرقر وأعياه ثأر كان يطلب في حجر
وذاك لعمرى كان أسهل مشرعاً عليه من البيض الصوارم والسمر

ففزع امرؤ القيس لذلك ثم قال : يا أخا أهل الحجاز ، من قاتل هذا الشعر؟ قال : عبيد بن الأبرص . قال : صدقت . ثم ركب واستنجد قومه ، فأمدوه بخمسة من مذحج ، فخرج الى أرض (معد) ، فأوقع بقبائل معد ، وقتل الأشقر بن عمرو ، وهو سيد بني أسد وشرب في قحف رأسه ، وقال امرؤ القيس في شعره :

١ اليعقوبي (١٧٨/١) .

قولا لدودان عبيد العصا : ما غركم بالأسد الباسل ؟
يا أيها السائل عن شأننا ليس الذي يعلم كالجاهل
حلت لي الخمر وكنت امرأ عن شربها في شغل شاغل

وطلبت قبائل معد امرأ القيس ، وذهب من كان معه ، وبلغه ان المنذر ملك
الحيرة قد نذر دمه ، فأراد الرجوع الى اليمن ، فخاف حضرموت ، وطلبت بنو
أسد وقبائل معد ، فلما علم انه لا قوة به على طلب المنذر واجتماع قبائل معد على
طلبه ولم يمكنه الرجوع ، سار الى (سعد بن الضباب الإيادي ، وكان عاملاً
لكسرى على بعض كور العراق فاستتر عنده حيناً حتى مات سعد بن الضباب) ،
فخرج امرؤ القيس الى جبل (طيء) ونزل بقوم من طيء ، ثم لم يزل في طيء
مرة وفي جديلة مرة وفي نيهان مرة حتى صار الى (تيماء) فترل بالسموأل بن
عادياء فأودعه أذراعه وانصرف عنه الى قيصر^١ .

وذكر (ابن خلدون) ان (امرأ القيس) سار صريحاً الى (بني بكر)
و (تغلب) فنصروه ، وأقبل بهم ، فأجفل (بنو أسد) وساروا الى (المنذر
ابن امرئ القيس) ملك الحيرة ، وأوقع (امرئ القيس) في (كنانة) ، فأئخن
فيهم ، ثم سار في ملاحقة (بني أسد) الى أن أعيا ولم يظفر منهم بشيء ،
ورجعت عنه بكر وتغلب ، فسار الى (مؤثر الخير بن ذي جلدن) من ملوك
حير صريحاً بنصره بخمسمئة من حير ، ويجمع من العرب سواهم . وجمع المنذر
لامرئ القيس ومن معه ، وأمدته كسرى أنوشروان بجيش من الأساورة، والتقوا ،
فانهزم امرؤ القيس ، وفرت حير ومن كان معه ، ونجا بدمه ، وما زال يتنقل
في القبائل والمنذر في طلبه ، وسار الى قيصر صريحاً فأمدته ، ثم سعى به
(الطمّاح) عند قيصر انه يشيب بينته، فبعث اليه بحلة مسمومة كان فيها هلاكه
ودفن بأنقرة^٢ .

و (أبو الفداء) من الذين نفوا كذلك خبر ايقاع (امرئ القيس) بـ (بني
أسد) . فهو يرى انه لم يظفر بهم ، وان (بني أسد) هربت حينما علمت
بمجيء (بكر) و (تغلب) . فلما أعجز القبيلتين الطلب ، تحاذلتا عن (امرئ

١ اليقوبسي (١٨٠/١) .

٢ ابن خلدون (٢٧٤/٢) وما بعدها .

القيس) ، وتركتاه . ولما عرفت جموع (امرئ القيس) بتطلب (المنذر بن ماء السماء) له ، تفرقت خوفاً من المنذر ، وخاف (امرؤ القيس) ، وصار يدخل على قبائل العرب ويتنقل من أناس الى أناس حتى قصد (السموأل بن عاديا) اليهودي ، فأكرمه وأنزله ، وأقام عنده ما شاء الله ، ثم سار الى قيصر مستنجداً به^١ .

ينفي خبر (ابن خلدون) المتقدم ، خبر انتقام امرئ القيس من بني اسد ، وهو يتفق بذلك مع رواية مؤسدة لبني اسد تنكر اخذ امرئ القيس بثأره من بني اسد ، وتروي في ذلك أبياتاً تنسبها اسد الى (عبيد بن الأبرص) شاعر بني اسد . قال ابن قتيبة : « وقد ذكر امرؤ القيس في شعره انه ظفر بهم ، فتأبى عليه ذلك الشعراء » . قال عبيد :

ياذا المخوفنا بقتل أبيه إذلالاً وحيناً
أزعمت انك قد قتلت سراتنا كذباً ومينا^٢

وعبيد هذا هو الذي زعم (ابن الكلبي) وأضرابه انه قال أبياتاً يتوسل فيها الى (حجر) ان يترفق بقبائل بني اسد ، وان يعفو عنها ، ويقبل ندامتها ، فيسمح لها بالعودة الى موطنها . وكان قد امر باجلائها الى تهامة ، لأنها أبت دفع الاتاة الى جابي (حجر) ، وضربته ، وخرجته ضرباً شديداً . ومطلعها :

يا عين فابكي ما بني أسد ، فهم أهل الندامة

ويقول ويقولون : انه لما سمعها رَقَّ على (بني اسد) ، فبعث في اثرهم وسمح لهم بالعودة من تهامة^٣ . وهو قول فيه تحيز على بني أسد .
وفهم من هذه الأبيات :

كأنني إذ نزلت على الملقى نزلت على البواذخ من شمام
فأملك العراق على الملقى بمقتدر ولا الملك الشامي

- ١ أبو الفداء (٧٥/١) ، خزانة الادب ، (٥٣٢/٣) ، الكامل لابن الاثير (٣٠٨/١ وما بعدها) .
- ٢ ابن قتيبة (ص ٣٣) ، الشعر والشعراء (٥٠/١ وما بعدها) (دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٤) ، خزانة الادب (١٥٨/١ وما بعدها) تاريخ يعقوبية (١٨٩/٢) (طبعة النجف) ، الشعر والشعراء (ص ٣٩) ، (طبعة ليدن) .
- ٣ الاغانى (٦٣/٨) .

أصد نشاط ذي القرنين حتى تولى عارض الملك الهمام
أقر حشا امرئ القيس بن حجر بنو تيم مصاييح الظلام

أن امرأ القيس نزل على (المعلّى) احد (بني تيم بن ثعلبة) فأجاره ومنعه .
ولم يكن للملكين : ملك العراق وهو المنذر ولا ملك الشام أي ملك الغساسنة ،
اقتدار عليه . وقد بقي لديه زماناً ، ثم اضطر الى الارتحال عنه ^١ . فذهب ونزل
عند (بني نبهان) من طيء ، ثم خرج ، فنزل بـ (عامر بن جوين الطائي)
وهو احد الخلعاء والفنّاء ، فبقي عنده زماناً ، ثم أحس منه ماراً به ، فتغفله ،
وانتقل الى رجل من (بني ثعل) فاستجار به ، فوَقعت الحرب بين (عامر) وبين
(الثعلبي) ، فخرج ونزل برجل من (بني فزارة) اسمه (عمرو بن جابر بن مازن)
فأشار هذا عليه بالذهاب الى (السموأل بن عاديا) بتياء ، فوافق فأرسله في صحبة
رجل من (فزارة) اسمه (الربيع بن ضبع الفزاري) كان يأتي السموأل ، فيحمله ويعطيه .
فتزل عنده وأكرمه ، ثم انه طلب اليه أن يكتب له الى (الحارث بن أبي شمر)
الغساني ، ليوصله الى قيصر . ثم أودعه امرؤ القيس ابنته وأدراعه وأمواله ، وأقام
ابنته مع (يزيد بن الحارث بن معاوية) ابن عمه وخرج ^٢ . وكان السدي أشار
على (امرئ القيس) بالتوجه الى قيصر هو ذلك الرجل الفزاري ^٣ .

ويظهر من غربة كل هذه الروايات ، ان مطاردة (المنذر بن ماء السماء)
لامرئ القيس كانت أعنف شيء أصاب هذا الشاعر بعد مقتل والده . لقد أخافته
وجعلته ينتقل من قوم الى قوم . فرّ عنه من انضم اليه من عصابة حمير ، ونجا في
جاعة من بني آكل المرار ، حتى نزل بالحارث بن شهاب في بني يربوع بن حنظلة
ومعه أدراعه الخمسة : الفضفاضة ، والضافية ، والمحضنة ، والحريق ، وام
الذبول ، كن لبني مرار يتوارثونها ملكاً عن ملك ، فقلما لبثوا عند الحارث بن
شهاب حتى بعث اليه المنذر مئة من أصحابه يوعدة بالحرب أن يسلم بني آكل
المرار فأسلمهم ، ونجا امرؤ القيس ومعه ابن عمه يزيد بن معاوية بن الحارث
وبنته هند ، والأدرع والسلاح ، ومال كان بقي عنده ، ومضى الى أرض طيء

١ الاغانى (٦٨/٨) ، السندوبي (ص ١٧٩) . - Ollinder, P. 108.

٢ الاغانى (٧٠/٨) .

٣ الاغانى (٦٨/٨ وما بعدها) .

ونزل عند المعلّي بن تيم الذي مدحه شاعرنا ، فأقام عنده ، واتخذ لإبلاً ، ثم خرج فنزل بعامر بن جوين على نحو ما ذكرت^١ .

ويذكر الأخباريون ان (عمرو بن قميئة) كان قد رافق (امرأ القيس) في سفره الى (القسطنطينية) . وقد أشير اليه في شعر (امرئ القيس) كذلك . ويذكرون انه كان من قدماء الشعراء في الجاهلية « وانه أول من قال الشعر من نزار ، وهو أقدم من امرئ القيس . ولقبه امرؤ القيس في آخر عمره ، فأخرجه معه الى قيصر لما توجه اليه ، فمات معه في طريقه . وسمته العرب : عمرأ الضائع لموته في غربة وفي غير أرب ولا مطلب »^٢ . بل روى انه كان من أشعر الناس^٣ . وانه كان من خدم والد امرئ القيس ، وانه بكى وقال لامرئ القيس غورت بنا ، فأنشأ امرؤ القيس شعراً فيه^٤ .

أما خبر (امرئ القيس) مع الغساسنة في طريقه الى قيصر ، فلا نعلم منه شيئاً ، وليس في شعره ما يشير الى انه ذهب اليهم رجاء التوسط في الوصول اليه . ويظهر من شعر لامرئ القيس ، انه سلك طريق الشام في طريقه الى (قيصر) وأنه مر بـ (حوران)^٥ وبعلبك وحمص وحماة وشيزر^٦ . أما ما بعد ذلك حتى عاصمة الروم ، فلا نعرف من امره شيئاً .

ويقول الرواة ان قيصر أكرم امرأ القيس ، وصارت له منزلة عنده ، وأنه دخل معه الحمام ، وان ابنته نظرت اليه فعشقتة ، فكان يأتيها وتأتيه ، وانه

-
- ١ الاغانى (٦٨/٨) .
 - ٢ الاغانى (١٥٨/١٦) وما بعدها .
 - ٣ الاغانى (١٥٩/١٦) .
 - ٤ (ثم سار ومعه عمرو بن قميئة أحد بني قيس بن ثعلبة وكان من خدم أبيه . فبكى ابن قميئة ، وقال : غورت بنا . فأنشأ امرؤ القيس يقول :
بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
فقلت له : لا تبك عينك انما نحاول ملكا أو نموت فنعدرا
الشعر والشعراء (ص ٤٥ وما بعدها) ، (طبعة ليدن) ، امالي الشريف المرتضى (٦٢٩/١) .
 - ٥ فلما بدت حوران والأل دونها نظرت فلم تنظر بعينيك منظرنا
سندوبي (ص ٧٠)
 - ٦ لقد أنكرتني بعلبك وأهلها ولابن جريج في قرى حمص انكرا
سندوبي (ص ٧٠) ،
(ابن جريج) ، Olinder, P. 110.

نادمه ، واستمده فوعده ذلك وفي هذه القصة يقول :

ونادمتُ قيصر في ملكه فأوجهني وركبتُ البريدا^١

ويذكرون أن (القيصر) أنجد (امرأ القيس) وأمده بجند كثيف فيه جماعة من أبناء الملوك ، ولكن رجلاً من بني أسد اسمه (الطمّاح) كان امرؤ القيس قد قتل أخاً له ، لحق بامرئ القيس، وأقام مستخفياً ، فلما ارتحل (امرؤ القيس) اتصل بجماعة من أصحابه ، اتصلوا بقيصر ، وقالوا له : « ان العرب قوم غلر ولا نأمن ان يظفر بما يريد ، ثم يغزوك بمن بعثت معه » . وفي رواية لابن الكلبي انه ذهب الى قيصر ، وقال له : « ان امرأ القيس غوي عاهر ، وانه لما انصرف عنك بالجيش ذكر انه كان يرسل ابنتك ويواصلها ، وهو قائل في ذلك أشعاراً يشهر بها في العرب فيفضحها ويفضحك . فبعث اليه حينئذ بحلة وشي مسمومة منسوجة بالذهب ، وقال له : اني أرسلت اليك بحلتي التي كنت ألبسها تكرمة لك ، فإذا وصلت اليك فالبسها باليمن والبركة ، واكتب اليّ بخبرك من منزل منزول . فلما وصلت اليه لبسها ، واشتد سروره بها ، فأسرع فيه السم ، وسقط جلده ، فلذلك سمي (ذا القروح) . ويستشهدون على قولهم هذا بشعر امرئ القيس^٢ .

ويذكر بعضهم أن امرأ القيس كان مصاباً بداء قديم ، وقد عاوده في ديار الروم ، وهو عائد الى دياره ، فلما وصل الى (أنقرة) ، اشتد عليه المرض ، فمات هناك . وانه رأى قبر امرأة من ابناء الملوك ماتت هناك ، فدفنت في سفح جبل يقال له (عسيب) ، فسأل عنها فأخبر بقصتها ، فقال في ذلك شعراً .

١ الاغانى (٧٠ / ٨) ، الشعر والشعراء (ص ٤٦) ، (ليدن) ، أمالي المرتضى (٥٩١ / ١) .

٢ ابن قتيبة (ص ٣٣) ،
Olinder, P. III, FR. Ruckert, Amrlikals der Dichter und König, Hannover, 1924.

الاغانى (٧٠ / ٨ وما بعدها) ، (الطمّاح بن قيس الاسدي) ، الشعر والشعراء (٥٠ / ١ وما بعدها) (دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٤) ، (ص ٤٦) ، (ليدن) .
قوله :

وبدلت قرحا داميا بعد صحة فيا لك نعمى قد تحول أبؤسا
الشعر والشعراء (ص ٤٧) ، (ليدن) .

ثم مات فدفن في جنب المرأة ، فقبره هناك^١ .

ويرى بعض المستشرقين ان ذهاب (امرى القيس) الى (القيصر) (يوسطيانوس) كان حوالي سنة (٥٣٠) للميلاد ، وانه توفي في أثناء عودته بين سنتي (٥٣٠) و (٥٤٠) للميلاد^٢ .

وليس في كتب الروم او السريان الواصلة الينا اشارة الى هذه الحوادث التي يرويها الأخباريون عن ذهاب امرى القيس الى القسطنطينية ، وطلبه النجدة من القيصر وموته في انقرة ، ولا عن الشعر الذي قاله في حق القيصر ، وفي حق القبر الذي شاهده ، وما الى ذلك مما يذكره الأخباريون .

وأما (المعلّى) الطائي احد بني تيم ، من (جديلة) والذي يعرف قومه بـ (مصاييح الظلام) ، فقد ذكره اهل الأخبار في عداد الوافين من العرب . قيل ان (المعلّى) شخص في يوم لبعض امره ، وبلغ (المنذر بن ماء السماء) ان امرأ القيس عند المعلّى وقد أجاره ، فركب حتى اتى (ابن المعلّى) . فعمد ابن المعلّى حتى انتهى الى القبة التي هو فيها . فقال له : « إن فيها حرم المعلّى ولست واصلاً إليها » . ونادى في قومه ، فنعوه ، فقال امرؤ القيس شعراً يمدح (بني تيم) وذكر نعتهم (مصاييح الظلام) ، وقال :

فما ملك العراق على المعلّى بمقتدر ولا الملك الشامي^٣

واما (عامر بن جوين الطائي) الذي نزل امرؤ القيس عنده ، فهو من

١ (ولما صار الى مدينة بالروم تدعى أنقرة ثقل ، فأقام بها حتى مات وقبر هناك . وقال قبل موته :

رب خطبة مسحفره وطعنة متعنجره
وجعبة متحيره تدفن غدا بأنقره

ورأى قبراً لامرأة من بنات ملوك الروم هلكت بأنقره ، فسأل عن صاحبه فخبّر بخبرها ، فقال :

اجارتنا ان المزار قريب واني مقيم ما أقام عسيب
اجارتنا انا غريبان هاهنا وكل غريب للغريب نسيب

الشعر والشعراء (ص ٤٧) ، (ليدن) ، الاغاني (٧١ / ٨) ،

Ency., II, P. 477.

Ency., II, P. 477.

٢ المحبر (ص ٣٥٣ وما بعدها) .

(طيء) ثم من (بني جرم) . وقد أقام امرؤ القيس عنده ، حتى قبل عامر امرأة امرئ القيس ، فأعلمته بذلك ، فسار امرؤ القيس الى (جارية بن مرّ الطائي) ثم (الثعلبي) المعروف بـ (أبي حنبل) ، فلم يصادفه ، وصادف ابنه . فقال له ابنه : « انا أجبرك من الناس كلهم إلا من أبي حنبل » . فرضي بذلك وتحول اليه . فلما قدم ابو حنبل رأى كثرة أموال امرئ القيس وأعلمه ابنه بما شرط له في الجوار . فاستشار في اكله نساءه . فكلهن أشرن عليه بذلك ، وقلن له : « انه لا ذمة له عندك » . ولكنه خالفهن بعد ان فكر في نفسه وفي سوء عاقبة الغدر ثم قرر الوفاء ، فعقد له جواراً ثم ركب في اسرته حتى نزل منزل عامر بن جوين ومعه امرؤ القيس ، فقال له : « قبل امرأته كما قبل امرأتك . افعل »^١ .

وذكر اهل الأخبار ان (المنذر بن النعمان الأكبر) ، ضغن على (عامر بن جوين الطائي) ، لما أجار (امرأ القيس) ايام كان مقيماً بالجبلين ، وقال كلمته التي يقول فيها :

هنالك لا أعطى مليكاً ظلامه ولا سوقاً حتى يؤوب ابن مندلة

فلما وفد عليه ، وذلك بعد انقضاء ملك كندة ورجوع الملك الى لحم . ودخل عليه ، أتبه على فعلته وهدده بغزو قومه ، وبانزاله العقوبة الصارمة بهم . فخرج (عامر) من عنده ، بعد ان قال له : « إن البغي اباد عمراً ، وصرع حجراً ، وكان أعز منك سلطاناً ، واعظم شأناً ، وان لقيتنا لم تلق انكاساً ولا أغساساً ، فهبش وضائعك وصنائعك ، وهلم اذا بدا لك ، فنحن الألى قسطوا على الأملاك قبلك » ، ثم اتى راحلته ، وانشأ يقول ابياتاً يتوعد فيها الملك^٢ .

ويشير اهل الأخبار الى ملك من ملوك كندة ، عرف بـ (ابي جبر) . قالوا عنه ، انه كان ملكاً شديد البأس ، خرج الى (كسرى) يستجيشه على قومه ، فأعطاه جيشاً من الأساورة ، فلما بلغوا (كاظمة) ونظروا الى بلاد العرب قالوا : اين يمضي بنا هذا الرجل ، وعمدوا الى سم . دفعوه الى طبّاخه ،

١ المحبر (ص ٣٥٢ وما بعدها) .

٢ كتاب ذيل الامالي (١٧٧) ، (المجلس الاول : مطلب ما دار من الحديث بين المنذر بن النعمان الأكبر وعامر بن جوين الطائي لما وفد عليه) .

فألقاه في احب الألوان اليه ، فلما استقر في جوفه،مرض وتوجع ، فجاء الأساورة اليه ، طالبين منه ان يكتب لهم انه قد أذن لهم بالرجوع ، فكتب لهم، فرجعوا وخفّ ما به ، فخرج الى (الطائف) الى (الحارث بن كلدة الثقفي) ، ليداويه فداواه وبرىء ، ثم ارتحل يريد اليمن ، فنكس ومات . وكانت له عمّة اسمها (كبشة) فرثته^١ .

هذه قصة (كندة) ، وهذه حكاية شاعرها (امرئ القيس) الذي يعود اليه الفضل في حفظ الأخباريين لتأريخ كندة .

أما شعر امرئ القيس وديوانه وصحيحه وفاسده ، فقد تحدث العلماء فيه ، ولهم فيه كلام يخرجني التعرض له عن صلب هذا الموضوع . فعلى مقالاتهم المعول في هذه الأمور .

يتبين للقارئ بعد غريبة الأخبار المتقدمة ، ان كندة كانت قد تمكنت من الهيمنة على القبائل النازلة في أواسط جزيرة العرب ، ومن تكوين مملكة لها،بلغت أوج ملكها في القرن الخامس للميلاد. الا ان ملكها على عادة حكومات القبائل لم يدم طويلاً ، فسرعان ما أخذ بنيانه يتآكل ويتداعى ، فأخذت اجزاؤه تتساقط ، وعادت القبائل التي اضطرت بقانون القوة المتحكم في البداية الى الانفصال عنها وإلى استعادة حريتها بذلك القانون ايضاً . فخسرت كندة ملكها الذي شمل نجداً ووصل العراق ، وبقي رؤساء منها يتحكمون في حضرموت ، ثم أخذوا يتعاملون مع قبائل عربية جنوبية اخرى لتوسيع ملكهم لا سيما بعد تركهم نجداً ولجوئهم الى حضرموت ، ويقدر بعض الباحثين عدد من جاء الى حضرموت من كندة بحوالي ثلاثين الف رجل ، نزل اكثرهم في (دمون)^٢ .

السموأل :

ولا بد من الاشارة باختصار الى (سموأل) الذي مر اسمه في أثناء كلامنا على (امرئ القيس) ، وقصته هي في الواقع جزء من قصة هذا الشاعر ،

١ نزهة الجليس (٤٨٤/١) .

٢ Beiträge, S. 121.

وذيل لها . وهو على ما يقوله لنا الأخباريون يهودي ثري ، شاعر ، مقره (الأبلق) ب (تماء) يعرف ب (السموأل بن عاديا) وب (السموأل بن غريص بن عاديا) (عاديا) اليهودي^١ . وب (السموأل بن حيان (حسان) ابن عاديا^٢) وب (السموأل بن عاديا بن حيا)^٣ ، وب (السموأل بن حيا ابن عاديا بن رفاعه بن الحارث بن ثعلبة بن كعب)^٤ ، وب (السموأل بن أوفى بن عاديا)^٥ . ويظهر من بيتين من قصيدة للأعشى ، هما :

كن كالسموأل إذ سار الهام له في جحفل كسواد الليل جرّار
جار ابن حيا لمن نالته ذمتسه أوفى وأمنع من جار ابن عمار

أن المراد ب (ابن حيا) السموأل ، أي ان اسم والد السموأل هو (حيا) . واختلفوا في نسب (عاديا) (عاديا) ، فقالوا : (عاديا بن حباء) وقالوا (عاديا بن رفاعه بن جفنة) ، وقالوا : إنه من ولد (الكاهن بن هارون ابن عمران)^٦ ، وقالوا عن قبيلته إنه كان من (بني غسان)^٧ . ونسبه (دارم ابن عقال) الى (رفاعه بن كعب بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء) . وهو نسب أنكره (أبو الفرج الأصبهاني) حيث قال : « وهذا عندي محال ، لأن الأعشى أدرك شريح بن السموأل ، وأدرك الإسلام وعمرو مزيقيا قديم لا يجوز أن يكون بينه وبين السموأل ثلاثة آباء ولا عشرة إلا أكثر ... وقد قيل إن أمه كانت من غسان »^٨ . ونسب السموأل الى الأزدي^٩ .

وللأعشى الشاعر الشهير شعر يرويه الرواة في مدح (الشريح بن السموأل) .

- ١ (عاديا) ، الاغانى (٩٨/١٩) ، ابن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء (ص ٢٣٥) ، (طبعة دار المعارف) ، Ency., IV, P. 133.
- ٢ الميداني ، الامثال (٢٧٦/٢) ، المشرق ، السنة الثانية عشرة ١٩٠٩ م العدد ٣ اذار ص ١٦٢ ، (حسان) ، مروج (١٧٦/٢) ، (طبعة دار الاندلس) .
- ٣ المغرب ، للجواليقي (ص ١٨٨) .
- ٤ الاشتقاق (٢٥٩) .
- ٥ المشرق ، العدد المذكور (ص ١٦٢) .
- ٦ المشرق ، العدد المذكور ، معاهد التنصيص (١٣١/١) .
- ٧ الاشتقاق (٢٥٩) ، المحبر (٣٤٩) .
- ٨ الاغانى (٩٨/١٩) ، المشرق ، العدد المذكور .
- ٩ المغرب (ص ١٨٨) .

وقد ورد فيه اسم ولدين للسموأل ، هما : (حوط) و (منذر)^١ . ولم يذكر
الأخباريون اسم الولد الذي زعم ان (الحارث بن أبي شمر) أو (الحارث بن
ظالم) قتله لرفض (سموأل) دفع أدرع الكندي اليه ، على نحو ما يذكره
الرواة في قصة الوفاء . ونجد مضمون هذه القصة في قصيدة الأعشى الرائية الموجودة
في ديوانه . وهي قصيدة تتألف من واحد وعشرين بيتاً ، يروي الرواة انه قالها
مستجيراً بـ (شريح بن سموأل) ليفكه من الأسر . وكان الأعشى على ما يقوله
الرواة قد هجا رجلاً من (كلب) ، فظفر به الكلي وأسره ، وهو لا يعرفه ،
فتزل بشريح بن سموأل وأحسن ضيافته ، ومرّ بالأسرى ، فناداه الأعشى بهذه
القصيدة ، فجاء شريح الى (الكلي) ، وتوسل اليه بأن يهبه ، فوهبه اياه ،
فأطلقه ، وقال له : أقم عندي حتى أكرمك وأحبوك ، فقال له (الأعشى) :
« إن تمام احسانك إليّ أن تعطيني ناقة ناجية ، وتخلّيني الساعة ، فأعطاه ناقة
ناجية ، فركبها ومضى من ساعته . وبلغ (الكلي) ان الذي وهبه لشريح
(الأعشى) ، فأرسل الى شريح ابعث إليّ الأسير الذي وهبت لك حتى أحبوه ،
فقال : قد مضى ، فأرسل الكلي في أثره ، فلم يلحقه »^٢ .

وروى (ابن قتيبة) القصة المتقدمة على هذا النحو : « قال أبو عبيدة :
أسر رجل من كلب الأعشى فكتمه نفسه وحجسه ، واجتمع عند (الكلي) شرب
فيهم (شريح بن عمرو الكلي) ، فعرف الأعشى . فقال للكلي : من هذا ؟
فقال خشاش التقطته . قال : ما ترجو به ولا فداء له ! خلّ عنه . فخلّى
عنه . فأطعمه شريح وسقاه . فلما أخذ منه الشراب سمعه يترنم بهجاء الكلي ، فأراد
استرجاعه . فقال الأعشى :

شريح لا تتركني بعد ما علقّت حبالك اليوم بعد القد أظفاري
كن كالسموأل اذ طاف الهام به في جحفل كهزيع الليل جرّار
بالأبلى الفرد من تباء منزله حصن حصين وجار غير غدار^٣

- ١ المشرق ، السنة الثانية عشرة ، ١٩٠٩ م ، العدد ٣ اذار ، (ص ١٦٣) .
- ٢ الاغانى (٩٩/١٩ وما بعدها) ، ديوان الاعشى (ص ١٢٦ وما بعدها) ، (تحقيق
رودلف كايير) ، (لندن ١٩٢٨ م) ، ديوان الاعشى الكبير (ص ١٧٩) ،
(تحقيق الدكتور م . محمد حسين) .
- ٣ الشعر والشعراء (ص ١٣٩) ، (الاعشى ميمون بن قيس) .

فجعل الرجل المجير (شريح بن عمرو الكلبي) ، أي من العشيرة التي أسر أحد رجالها الأعشى ، ولم يجعله ابناً من أبناء السموأل .

وجاء نسب (شريح) في شرح (أبي العباس ثعلب) على ديوان الأعشى على هذا الشكل : (شريح بن حصن بن عمران بن السموأل بن حيتاً بن عاديا)^١ ، فصار (السموأل) جدّاً من أجداد (شريح) لا والدّاً له .

وقد اختلف الأخباريون في الرجل الذي طالب السموأل بتأدية سلاح (امرئ القيس) إليه ، فزعم بعضهم أنه (الحارث بن أبي شمر الغساني)^٢ . وزعم بعض آخر أنه (الحارث بن ظالم) في بعض غاراته بالأبلى ، وزعم آخرون أنه (المنذر) ملك الحيرة ، وجهّه بـ (الحارث بن ظالم) في خيل ، وأمره بأخذ مال امرئ القيس من السموأل ، وزعم انه (الأبرد) وهو الملك الغساني . وكان الحارث بن أبي شمس لما قتل المنذر يعين أباغ ، وجه ابن عمّه الأبرد ، فجعله بين العراق والشام . فلما سمع الأبرد بهلاك امرئ القيس ، طالب السموأل بدفع الدروع إليه ، فامتنع ، فذبح ابنه وهو يراه . ولم يصرح بعضهم باسم الملك الذي طالب بتأدية الدروع ، انماذكروا انه كان بعض ملوك الشام^٣ .

واذا تتبعنا الروايات الواردة في قصة وفاء السموأل ، وذبح ابنه ، وامتناعه عن تأدية الأمانة المودعة لديه ، نجد أنها ترجع الى موردين : قصة (دارم بن عقال) وشعر الأعشى . ويلاحظ أن في شعر الأعشى كثيراً من أخبار السموأل ، ومن شعره أخذ الأخباريون (تيماء اليهودي) ، وهذه ملاحظة تستحق الدرس^٤ . ويفهم منه أن الأعشى كان ممن يرتادون حصن السموأل . أما (دارم بن عقال) ، فهو من ولد السموأل . وهو راوي خبر قصة الوفاء ، والأشعار المنسوبة الى امرئ القيس المتعلقة بهذا الموضوع . وقد أشار الى ذلك مؤلف كتاب (الأغاني) في أثناء كلامه على قصيدة نسبت الى (امرئ القيس) ، ابتداءها :

طرقتك هند بعد طولٍ تجنب وهنا ولم تك قبل ذلك تطرق

- ١ ديوان الاعشى (١٢٥) ، (تحقيق كابر) .
- ٢ طبقات فحول الشعراء (٢٣٥) ، الاغاني (٩٩/١٩) .
- ٣ الاغاني (٩٩/١٩) ، ديوان الاعشى (١٢٦) ، (كابر) ، المجير (٣٤٩) .
- ٤ البلدان (٤٤٢/٣) ، الحيوان للجاحظ (١٨٨/٦) ، المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٦٣) .

فقال : « وهي قصيدة طويلة ، وأظنها منحولة ، لأنها لا تشاكل كلام امرئ القيس ، والتوليد فيها بيسن ، وما دوتها في ديوانه أحد من الثقات ، وأحسبها مما صنعه دارم ، لأنه من ولد السموأل ، ومما صنعه من روى عنه من ذلك فلم تكتب هنا ... »^١ . ولا أستبعد أن تكون هذه القصة ، قصة الوفاء من صنع هؤلاء الصنّاع .

ويرى (ونكلر) (Winckler) ان قصة الوفاء هذه هي أسطورة استمدت مادتها من أسفار (صموئيل الأول) في التوراة ، ومن الأساطير العربية القديمة نظمت على هذه الصورة فجعل بطلها شخصان هما : السموأل وامرؤ القيس^٢ .

ولا بد لي وقد انتهيت من البحث عن امارة كندة، من الاشارة الى (الأكيدر) صاحب (دومة الجندل) ، فقد نسبته أهل الأخبار الى (كندة) . وقد ذكروا انه من السكون ، والسكون هم من كندة . ومعنى هذا ان عائلة تنتمي الى كندة كانت تحكم هذا الموضع المهم في البادية ، لأنه ملتقى طرق قوافل وسوق معروف من أسواق الجاهليين .

كندة في العربية الجنوبية :

وقفنا على أخبار كندة بنجد وفي العربية الشرقية الى العراق . ثم رأينا ما حل بتلك الامارة وكيف تشتت شملها . ونريد الآن أن نتحدث عن دور هذه القبيلة في العربية الجنوبية .

يرى بعض الباحثين ان الحصومات التي وقعت في امارة كندة ، وتعقب ملوك الحيرة ولا سيما (المنذر) لساداتها ، وانفضاض القبائل التي كانت تخضع لها عنها ثم سقوط امارة كندة ، دفعت بعشائر كندة إلى الاتجاه نحو الجنوب نحو العربية الجنوبية ، ولا سيما حضرموت ، وهي موطنها القديم ، فزححت اليها واستوطنت بها . وكونت لها امارة كندية بحضرموت .

١ الاغانسي (٧٠ / ٨) .

H. Winckler, Arabisch-Semitisch-Orientalisch, in Mittel. der Vorder Asia.

Gesel., 1901, S. 112. 6 Jahrgang.

وهذا القول يجب ألا يفسر على أن مجيء كندة الى العربية الجنوبية انما كان بعد سقوط حكومتهم وتشتت أمرهم ، فقد أشرت فيما سلف في مواضع الى وجود كندة في العربية الجنوبية قبل هذا العهد بزمان طويل ، وأشرت الى ورود اسمها في نصوص المسند وان الأدوار التي لعبتها في ايام ملوك سبأ وذو ريدان ، قبل الاسلام بمئات السنين ، بل ربما كان ذلك قبل الميلاد .

وقد رأينا فيما سلف ورود اسم (كندة) (كدت) في نص أمر بتدوينه الملك (معديكرب يعفر ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابها في النجاء وفي المنخفضات) . وهو من النصوص التي عثر عليها في (وادي مأسل) (وادي ماسل) (مأسل الجمح)^١. وقد دون ووضع في موضع (مأسل الجمح)^٢ المناسبة ارسال الحملة العسكرية الى موضع (كتا) لمحاربة (منذر) أي (المنذر) الذي أعلن الحرب على قبائل هذه الجهات . وقد اشتركت في هذه الحرب قبائل سبأ وحسير و (رحبت) (رحبة) وحضرموت و (يمننت) (اليمن) والأعراب و (كدت) أي (كندة) و (منذر) . واشترك مع المنذر (منذر) بنو ثعلبة (بن ثعلبت) و (شبيع ؟) . وقد أرخ النص بشهر (ذ قيسن) (ذو قيص) (ذو القيص) من سنة (٦٣١) من التقويم الحميري أي في صيف سنة ٥١٦ للميلاد^٣ .

ويظهر من هذا النص أن (المنذر) كان قد بلغ في حروبه مناطق بعيدة عن قاعدة ملكه ، وانه هو الذي غزا القبائل القاطنة في وادي مأسل الجمح (ما سلم جمح) . ولعله كان يتعقب عشائر كندة ومن كان يؤازرها وبعادي ملك الحيرة ، حتى بلغ هذا المكان الذي كان خطأ أمامياً من خطوط الدفاع لحكومة « سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابها في الأطواد والمنخفضات » . ولهذا السبب هب الملك (معديكرب) لمساعدة (كندة) على نحو ما ورد في النص .

وقد ذكرت (كدت) كندة مع مراد ومنحج والقبائل الأخرى في الهجوم الذي قام به الملك (يوسف اسار) (يوسف أسار) على الأحباش في مدينة (ظفار) ، وعلى المدن التي كانت تناصرهم . وقد ورد تأريخ هذا الهجوم في

١ كدأبك من أم الحويرث قبلها وجارتها أم الرباب بمائل

٢ (بما سلم جمح)
Le Muséon, LXVI, 1953, P. 307, 310, Ryckmans 510-446.

٣

نص سجله القيل (شرح ايل يقبل بن شرح ايل يكمل) من (ال يزن)
(آل يزن) (آل يزأن) بالاشتراك مع (جدن) (جدنم) و (حيم) (حب)
و (نسا) (نسان) (نسن) و (جبا) (جبا) لهذه المناسبة .

ويتبين من هذا النص ان الملك (يوسف اسار) (يوسف أسار) هاجم
(ظفار) مقر الأحباش ، واستولى على الكنيسة (قلسن) (القليس) ، ثم
سار بعد ذلك على (أشعرن) (الأشعر) ، وعين القيل على رأس جيش ،
ثم سار الى (نخون) (نخا) فقتل سكانها واستولى على كنيستها ، وهدم جميع
حصون (شمر) ومعقلها والسهل . وعندئذ قام بهجوم ماحق على (أشعرن) .
وقد قُتل في هذه المعارك عدد كبير من الناس : قُتل ثلاثة عشر ألف قتيل ،
وأخذ تسعة آلاف وخمسة اسير ، واستولى على (٢٨٠) ألف من الإبل والبقر
والمعز . وأخذت غنائم عديدة أخرى .

وأمر الملك بعد هذه المعارك القيل (شرح ايل يقبل) (شرح ال يقبل)
بالالتحاق بالجيش الذي أرسل الى نجران . وفي صعيد هذه المدينة اجتمع رؤساء
(بني أزأن) (آل يزأن) (بن يزن) وقبائل همدان وكندة ومراد ومذحج
وأعرابها . فتغلبت جيوش الملك على هذه المدينة ، وأنزلت بسكانها خسائر كبيرة
في الأموال والأرواح ، ووضعت الأغلال في ايدي الأسرى ، وقتل من وجد
هناك من الأحابيش . وكان مع الملك في جيشه من الرؤساء : (لحييت برخم)
و (سميفع أشوع) و (شرح ايل أسعد) . وقد دوّن هذا النص في شهر
(ذ قيصن) (ذو القيص) من شهور صيف سنة (٦٣٣) من التقويم الحميري
الموافقة لسنة (٥١٨) للميلاد^١ .

وقد لعبت (كندة) (كدت) دوراً خطيراً في الأوضاع السياسية والعسكرية
في أيام استيلاء الحبش على العربية الجنوبية ، كما يتبين ذلك من الفصل الخاص
المتعلق بهذا الموضوع . وقد دخل رؤساؤها في الاسلام ، فتبعهم أتباعهم ، كما
يرد ذلك في كتب التواريخ والسير .

ويذكر أهل السير والتواريخ ، أن وفداً من وفود (كندة) ، كان في جملة

الوفود التي قدمت المدينة لمبايعة الرسول في السنة العاشرة من الهجرة . وكان قد رأسه (الأشعث بن قيس الكندي) . « دخلوا على رسول الله مسجده ، وقد رجّلوا اجمعهم ، وتكحلوا ، عليهم جيب الحيرة ، قد كفّفوها بالحرير » ، ثم قال الأشعث : « يا رسول الله ؛ نحن بنو آكل المرار ، وأنت ابن آكل المرار » ، يفتخر بجده (آكل المرار) ، وبـ « أن كندة كانت ملوكاً »^١ . وقد عرف جد (الأشعث بن قيس بن معديكرب بن معاوية) ، بمعاوية الأكرمين ، وانما سمي معاوية الأكرمين لأنه ليس في آبائه إلا ملك أو رئيس . وكان كريم الطرفين . وقد ذكره (الأعشى) في شعر له . وكان أحد ملوك كندة بحضرموت^٢ .

وكان (نخوص) (نخوس) ومشرح وجمسد وأبضعة بنو معديكرب بن وليعة بن شرحبيل بن معاوية من سادات كندة عند ظهور الاسلام . وقد لقب كل واحد منهم نفسه بلقب (ملك) . واختص كل واحد منهم بواد ملكه . وقد نزلوا المحاجر ، وهي أحياء حموها ، وقد عرف هؤلاء بالملوك الأربعة من (بني عمرو بن معاوية) ، وقد لعنهم النبي^٣ . وقتلوا في الردة^٤ .

ويرجع النسابون نسب كندة الى جدّ أعلى قالوا له (عفير بن عدي) وهو والد (ثور) . و (ثور) هو كندة^٥ . وولد (كندة) معاوية بن كندة وأشرس ، وامها هي رملة بنت اسد بن ربيعة بن نزار^٦ . ويمثل هذا النسب صلة كندة بقبائل معد ، وارتباط تأريخها بها ، وتملكها عليها قبل الاسلام بزمان . وهو تملك جعل (كندة) تفتخر به ، حتى صارت تدعو نفسها : (كندة الملوك) . ويذكر (الهمداني) ، ان الشاعر (امرؤ القيس) ، كان يفتخر ويقول :

لا ينكر الناس منا يوم نملكهم كانوا عبيداً وكنا نحن أربابا^٧

-
- ١ الطبري (١٣٨/٣ وما بعدها) ، (قدوم الاشعث بن قيس في وفد كندة) .
 - ٢ الاكليل (٩٠/١) .
 - ٣ ابن الاثير (١٥٨/٢ وما بعدها) ، البلدان (٢٩٤/٣) ، (حضرموت) ، ابن خلدون (٥٦/٢) ، القسم الثاني : الوفود .
 - ٤ الاشتقاق (٢٢٠) .
 - ٥ الاكليل (١٤٦/١) .
 - ٦ الاكليل (١٤٥/١) .
 - ٧ الاكليل (١٤٥/١) .

وان (تبعاً الآخر) ، وهو (عمرو بن حسان) ، عيّن حجراً آكل المزار على معد كلها ، فالملك على (معد) لكندة . وان (كندة) كانت تقول : « لم تزل لها نزار ومن نزل الحيرة والشأم من العرب طعمة ورعية » .

وقد نسب بعض النسابين (كندة) الى كندة ، وهو ثور بن مرتع بن معاوية ابن كندي بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان^١ . ونسبه بعض آخر الى (كندة بن عفير بن الحارث) ، الى غير ذلك من آراء . وقد زعم بعض النسابين ان (الصدف) واسمه (مالك) ، وهو جد (الصدف) ، هو شقيق كندة^٢ .

ومن بطون كندة معاوية بن كندة، ومنه الملوك بنو الحارث بن معاوية الأصغر ابن ثور بن مرتع بن معاوية ، أسلاف الشاعر امرؤ القيس ، وقد حكموا القبائل الأخرى من غير كندة ، ومنها قبائل من عدنان^٣ .

و (الأشرس بن مرتع)، هو أخو (كندة) ، وهو ابو السكون والسكاسك^٤. ونسب السكاسك الى (حميس السكسك بن أشرس بن ثور . وهو كندة بن عفير)^٥. ومن السكون (نجيب) . وكان (أكيدر بن عبد الملك) صاحب دومة الجندل من السكون . وأخوه بشر بن عبد الملك . يذكرون أنه ذهب الى الحيرة ، وتعلم بها الخط ، ثم رجع الى مكة فتزوج الصهباء بنت حرب أخت أبي سفيان . ومنه تعلم أهل مكة الكتابة^٦ .

ويذكر أهل الأخبار أن كندة لما خرجت من (الغمر) : غمر ذي كندة ، نزلت بحضرموت وتآلفت مع الصدف تذكرت الأواصر والقربات التي كانت تربطها بـ (الصدف) فصارت تحارب معها^٧، وجعل (الهمداني) أهل حضرموت من كندة والصدف وحير .

١ جمهرة أنساب العرب (ص ٣٩٩) ، الأكليل (٤/١٠) ، الأنبياء (١١٤) ، الاشتقاق (٢١٨) ، ابن خلدون (٢٥٧/٢) ، صبح الأعشى (٣٢٨/١) ، نهاية الأرب (٣٠٣/٢) ، الروض الأنف (٣٤٥/٢) ، تاج العروس (٤٣/١) ، (٢٨٧/٢) ، اللسان (٣٨٦/٤) .

٢ الأكليل (٥/١٠) .

٣ ابن خلدون (٢٥٧/٢) .

٤ الأكليل (٣٥٨/١) .

٥ الأنبياء (١١٥) ، الاشتقاق (٢٢١) ، تاج العروس (١٤١/٧) ، تاريخ العرب قبل الإسلام (٢٨١/٤) .

٦ جمهرة (٤٠٣ وما بعدها) ، ابن خلدون (٢٥٧/٢) .

٧ الأكليل (١٥/٢ فما بعدها) . Belträge, S. 133.

فلسطين الثالثة :

لقد ذهب (كوسان دى پرسفال) (Caussin de Perceval) الى أن (كيسوس) (Kaisus) (Caisus) المذكور عند (بروكوبيوس) و (نونوسوس) (Nonnosus) هو (امرؤ القيس)^١ .

ذكر (بروكوبيوس) ، أن القيصر (يوستينيانوس) (Justinianus) ، أرسل رسولا هو (يوليانوس) (Julianus) الى (Esimiphaeus) (السميقع أشوع) ليطلب منه بحكم رابطة الدين والمصالح المشتركة تنصيب أحد أبناء الأشراف ورؤساء القبائل واسمه (Kaisus) (Caisus) على (معد) (Maddeni) ، وأن يرسل قوة كبيرة من رجاله يشتركون مع الـ (سرسين) والـ (Maddenin) في غزو مملكة الفرس^٢ . وكان (كيسوس) هذا قد قتل أحد أقارب (Esimiphaeus) والتجأ الى البادية ، ولم يبق أي منهما بالغزو ، ولم يذكر (بروكوبيوس) شيئاً آخر عن (كيسوس) هذا ، أي (قيس) . وقد كانت سفارة (يوليانوس) الى الحميريين قبل موت (قباز) اي قبل سنة (٥٣١ م)^٣ . وفي الخبر اشارة الى شجاعة (قيس) وكفائه وحزمه ، لهذه الأسباب ولأسباب سياسية أخرى رغب القيصر في تعيينه رئيساً على معد .

وذكر (نونوسوس) ان القيصر (يوستينيانوس) كلفه الذهاب في سفارة الى (Kaisos) (قيس) حفيد (الحارث) (Aretas) ورئيس قبيلتين عظيمتين من أعظم قبائل الـ (سرسينوى) (Saracynoi) هما (Kindyoi) كندة و (معد) (Maadynoi) لمواجهة ودعوته للذهاب الى الانباطور اذا أمكنه ذلك . فذهب اليه ، ونفذ أوامر القيصر ، وعاد الى بلده سالماً . وكان القيصر (أنستاسيوس) (Anastasius) قد كلف جند (نونوسوس) أن يذهب الى الحارث ليعقد عهداً معه ، كما ان القيصر (يوستينوس) ، كلف أبا (نونوسوس) وهو (ابراهيم) (ابراهيم) أن يذهب الى (المنذر) (Alamoundaros) رئيس الـ (سرسينوى) لمفاوضته في فك أسر قائدين كانا أسيرين لديه ، هما (تيموستراتوس)

Olinder, P. 114, Caussin de Perceval, Essai., II, P. 317.

Procopius, History of the Wars, P. 193, I, XX, 9-13.

Olinder, P. 114.

و (يوحنا) . تم كلف مرة ثانية في عهد (يوستنيانوس) (Justinianus) سفارة اخرى لدى قيس ، لعقد معاهدة معه . وقد تمكن من ذلك ، وعاد معه أحد أبناء (قيس) واسمه (معاوية) (Mauias) ليكون رهينة في (بوزنطية) عند (يوستنيانوس) . وكلف (ابراهيم) مرة أخرى ان يذهب الى (قيس) بمهمة سياسية اخرى ، فذهب اليه وأقنعه بالقدوم الى (بوزنطية) ، فقسم ولايته على القبائل بين أخويه (يزيد) (Jezidos) و (أومروس) (Aumros) (عمرو) ، ونال من الانباطور ولاية (فلسطين) ، وجاء معه بعدد لا يحصى من مرؤوسيه^١ .

وقد ذكر (ملخوس الفيلادلفي) (Malchus of Philadelphia) اسم عامل عربي سمّاه (Amorkesos) أي (امرؤ القيس) . كان كما قال رئيساً على بطن من بطون الأعراب (Sareceni) هو بطن (Nokhalian) (Nokhalian) . وذكر ان (بطرس) (Peter) أسقف أهل الوبر (Saraceni) ذهب في عام (٤٧٣) للميلاد الى القسطنطينية ليطالب من القيصر (ليون) (Leo) أن يمنح هذا الرئيس درجة (عامل) (Phylarchus) (فيلارخ) على العرب المقيمين في العربية الحجرية.

وكان هذا الرئيس يقيم مع قبيلته في الأصل كما ذكر (ملخوس) في الأرضين الخاضعة لنفوذ الفرس ، ثم ارتحل عنها ونزل في أرضين قريبة من حدود الفرس وأخذ يغزو منها حدود الساسانيين ، والقبائل العربية المقيمة في الأرضين الخاضعة للروم . فتمكن بذلك من بسط نفوذه وسلطانه على القبائل حتى بلغ ساحل البحر الأحمر ، واستولى على جزيرة (ايوتابا) (Iotabe) ، وهي جزيرة مهمة كان الروم ينزلون فيها لجمع الضرائب من المراكب الذاهبة الى المناطق الحارة أو الآية منها ، فتصيب الحكومة أرباحاً عظيمة جداً . فلما استولى على تلك الجزيرة، صار يجبيها لنفسه ، حتى صار غنياً جداً . كذلك حصل على ثروة عظيمة من الغنائم التي حصل عليها من غزوه للمواضع المجاورة لهذه الجزيرة الواقعة في العربية الحجرية وأعلى الحجاز^٢ .

١ المشرق ، السنة الثامنة ، العدد ٢١ ، ١ تشرين الثاني ، سنة ١٩٠٥ م ، (ص ١٠٠٥) ، شيخو ، النصرانية وآدابها ، (القسم الثاني ، الجزء الثاني) (ص ٤٣٣ وما بعدها) ،

Migne, Patrol. Gree., Phot., Bibl. CIII, 46-47, Ollinder, P. 114.

Musli, Hegaz, P. 306. ٢

وأراد (امرؤ القيس) (Amorkesos) ، بعد ان بلغ من النفوذ مبلغه ،
الاتصال بالروم ، والتحالف معهم ، والاعتراف به عاملاً رسمياً على العرب الذين
خضعوا له وعلى العرب المعترفين بسلطان الروم عليهم . ولذلك أرسل الأسقف
(بطرس) أسقف قبيلته ، ليكون رسوله الى القيصر . وقد نجح هذا الأسقف
في مهمته ، وتوسط في دعوة (امرؤ القيس) لزيارة القسطنطينية ، فلما وصل
اليها استقبل بها استقبالا لائقاً ورحب به ترحيباً حاراً ، ولا سيما بعد أن أعلن
دخوله في النصرانية ، فأنعم عليه القيصر بالهدايا والألطف وعينه (عاملاً)
(Phylaeachus) على تلك الجزيرة وعلى مواضع أخرى وعلى أعراب العربية الحجرية .
ثم عاد مكرماً ، بالرغم من أن معاهدة الصلح التي كانت بين الروم والفرس
كانت قد حرمت دخول رؤساء الأعراب وقبائلهم النازحين من مناطق أحد الطرفين
في أرضين الطرف الثاني .

ويحتمل على رأي (الويس موسل) أن يكون هذا الشيخ قد هاجر من
(الوديان) و (الحجيرة) ، الى (دومة الجندل) ومنها صار يغزو أعراب
(العربية الحجرية) ، والمناطق المجاورة لها من (فلسطين الثالثة) (Palestina Tertia)
ويتوسع فيها حتى بلغ ساحل البحر ، فتحكم في جزيرة (Iotabe)
المهمة التي كانت محطة تجارية خطيرة للتجار مع الهند ، وفي الطريق البري المهم
الذي يربط ديار الشام بالعربية الجنوبية ، فحصل على سلطان واسع ونفوذ
عظيم .^٢

ولعل هذه الجزيرة هي جزيرة (Ainu) التي ذكرها (بطلميوس) ، أخذ
تسميته هذه من (حينو) (حايو) (Hainu) الاسم الذي كانت تعرف به
عند الأنباط^٣ . ويظن أنها جزيرة (تاران) (تيران) . وذكر (ياقوت)
أن سكانها قوم يعرفون بـ (بني جدان)^٤ .
ويحدثنا (ثيوفانس) ان هذه الجزيرة كانت في عام (٤٩٠) للميلاد في أيدي

١ Musll, Hegaz, P. 306.

٢ Musll, Hegaz, P. 306.

٣ Musll, Hegaz, P. 307, Ptolemy, VI, 7, 43.

٤ Musll, Hegaz, P. 306. (٣٥٢/٢) البلدان

الروم ، استولى عليها حاكمهم (Dux) على فلسطين بعد قتال شديداً . وبدل خبر هذا المؤرخ على ان الروم انتزعوا هذه الجزيرة من (امرئ القيس) أو من خلفائه بعد مدة ليست طويلة من استيلاء امرئ القيس عليها . ولعلمهم استولوا عليها بعد وفاة هذا العامل على أثر نزاع وقع بين أولاده وورثته أضعف مركز الإمارة ، فانتهاز الروم هذه الفرصة وانتزعوا ما تمكنوا من انتزاعه من أملاك هذا الرئيس .

ويظن ان (Nokalian) هو (النخيلة) . و (النخيلة) موضع معروف قرب الكوفة على سمت الشام^٢ ، وهو موضع ينطبق عليه ما ذكره (ملخوس) من انه كان في أرض كانت تحت نفوذ الفرس .

وكان يحكم هذه المنطقة في أيام (يوسطينيانوس) (Justinianus) (Joustinianus) رئيس يدعى (أبو كرب) (Abochorabus) ، وكانت له واحة خصبة مزروعة بالنخيل ، وهبها الى القيصر . فقبلها منه ، وعينه رئيساً (Phylarchus) على أعراب (Saracens) فلسطين . فحمى له الحدود من غزو الأعراب، ومنع اعتداء القبائل في الداخل . وذكر (بروكوبيوس) ان هناك أعراباً آخرين كانوا يجاورون أعراب هذا الرئيس ، يدعون بـ (Maddeni) أي (معد) ، يحكمهم (Homeritae) أي الحميريون^٣ . ويظهر من كلام هذا المؤرخ ان قبائل معد كانت في أيامه تابعة لحمير . ومعنى هذا ان نفوذهم كان قد امتد في هذا العهد حتى بلغ أعالي الحجاز . وفي كلامه هذا تأكيد لروايات الأخباريين الذين يتحدثون عن بلوغ التبابعة هذه الأماكن ، وعن حروب وقعت بين العدنانيين والقحطانيين . وليس في الذي أورده (بروكوبيوس) أو (نونوسوس) ، ما يثبت ان (قيساً) هو (امرؤ القيس) . ومجرد تشابه الاسمين لا يمكن أن يكون حجة على انهما لمسمى واحد . ثم ان ما ذكره (نونوسوس) من ان (قيساً) كان رئيساً على قبيلتي (كندة) و (معد) لا يكون دليلاً على انه كان حتماً من (كندة) أو انه كان حتماً (امرأ القيس) الشاعر الذي يعرفه الأخباريون . لذا فنحن لا نستطيع الجزم في الوقت الحاضر بتعيين هوية هذا الرئيس .

١ Theophanes, Chronographia, P. 121, Musil, Hegaz, P. 307.

٢ البلدان (٢٧٦/٨ وما بعدها) . Blau, in ZDMG., 22, 1868, S. 578.

٣ Procopius, De Bello Persico, I, 19, Musil, Hegaz, P. 307.